المشرق

الارواح في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

مرَّ من الليل هجيع طويل والأعراب جالسون على بساط الراحة والسلام يستضيئون بنور القمر ويتجاذبون اطراف الحديث . وكنَّا بالقرب من الشيخ عبد المهدي وهو امير عرب العوازم القاطنين في ماعين وضواحيها . ومَن تعهَّدهُ يوماً رأى عليه سمات الجمال البدوي ومن سمعهُ اخذتهُ هزَّة الطرب من تلهُّب فؤادهِ وتوقُّد خاطرهِ . وكان يناجي الحاضرين بأخبارهِ الملذَّة وحوادثهِ الغابرة والحروب التي كان فيها بطلًا . وكنَّا نسمع ذاك الراوي لمبتكرات الامور ونعجب من علمهِ بأيَّام العرب وآدابهم وعوائدهم . وكان في اثناء ذلك يقوم شابٌّ ويقدِّم للضيوف القهوة المرَّة البدويَّة

وبينما القوم بهناء وصفاء اذ صدع الآذان خبَبٌ متواصل . فذُعر الحاضرون وارتاعوا وعلت على طِلعاتهم امارات الخوف والرعدة واخذوا يتهامسون بينهم . من يا تُرى هذا المستجير في طيَّات الظلام ؟ ما هذه الغارة ؟ كلَّا هذا ليس بغزو فالغزو يتقدَّم في مطلع الفجر . فخرج الجميع الى خارج المضارب واذا ببدوي على متن جواده يقطع السهول والهضاب ويتهب الارض نهباً . فلمَّا نزل الى مضرب الشيخ عبد المهدي نزل مرتعد الأوصال يرجف رجف الاوراق في الاشجار . فقال له : « علامك ؟ ويش علومك ؟ اكفِ شرَّك . ما هذا الاصفرار ؟ » وكان البدوي قد عُقل لسانه وذاب قلبهُ وصوتهُ فجلس وهو يشير الينا بالايماء الى ان هدأت الحركات وسكنت الاصوات وركن بالهُ وخفَّ ارتعاشهُ فقالوا : قد لمسهُ لامس باسم الله

الرحمان الرحيم . فقلنا : دعوهُ يرتاح ردحاً من الزمن . وكان الفارس المستجير من عشيرتهم وهو من عقلاء الموازرة ثمَّ أردفنا : عَلامَك يا ابا محمَّد ؟ فنطق حينئذٍ ولسانه يتلعثم بالكلام : صوتٌ .. صوتٌ طرق مسامعي من جهة الجنوب بالقرب من الحجر المنصوب (١ كنت ممتطياً جوادي اغنّي وانشد الاشعار اذ سمعتُ لحناً مطرباً . فقلت : «ما هذا النغم الشجيّ في البادية » ثم ارتفع كصوت ابطال الحروب واشتدَّ حتى خُيّل لي انهُ زئيرُ اسد او هديرُ مياه السيول او قعقعة السيوف . فما كنت اسمع خبَبَ حصاني بل كنت اسمع دقّات قلبي تتعاظم وتشتدّ . فوقفتُ مرتاعاً وصرت أجيل نظري النقّاد فما وقع على قوم ولا على شبح . فاستعذتُ برب الفلق من شرّ ما خلق . « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، باسم الله باسم الله » . وكان الصوت يتقدّم نحوي كالبرق . فنزلت عن الجواد وقد هاج وماج . وانتشر حولي ضباب وامتدَّ في عرض السماء وشعرتُ بدويّ الرعود والعواصف . وبدا لي ان السماء تمطر انهاراً وسيولاً وايقنتُ بالهلاك فودَّعت الدنيا في تلك اللحظة . سلام على الاحباب والاقارب . هنا منيَّتي هنا اجلي هنا أُدفن في لُجج الغمر . وما كدتُ انطق بهذه الكلمات حتى رأيتُ السماء قد راق اديمُها وصفا جوُّها واضاءت النجوم بالوانها السنية

فقالوا : أهذا يُرعبك وانت بطل من الابطال تُقارع الرجال ولا تهاب النزال . قال : شعرتُ بنفسي قد ذابت وتبدَّدت في احشائي . وقد نذرتُ لربّ الفلق ذبيحةً ممتازة نعجة بيضاء — قالوا جميعهم : قد لمسهُ لامس . قد لمسهُ باسم الله الرحمان الرحيم . وحكموا انه جنٌّ او روح شريرة قد تمثّلت له . ولا ينجو منها الّا بالذبيحة

ولمّا تمَّ حديثهُ اخذ كلٌّ من الحاضرين يروي حكاية قد سمعها وشعر بها فأثّرت في محفوظهِ . وكنا نعي في فؤادنا كلَّ ما ذكروهُ عن الارواح . فكنّا تارة نلقي عليهم سؤالاً وطوراً كان الحديث يأتي بالحديث طبقاً لأمانينا

ولم نكتفِ بما سمعناه بل مرَّ علينا حينٌ من الدهر ونحن نعاين الاعراب ونجالسهم فنستزيد علماً ومعرفة ونستوضح افكارهم عن الارواح ومظاهرها .

---

١) الحجر المنصوب (dolmen) ويُعرف بالنَصْب ج أنصاب هو نوع من المبنيات القديمة طوله سبعة امتار قائم في قمة الجبل المُشرف على سيل الزرقاء . وليس عليه كتابة تنبيء عن تاريخه وواضعهِ . وهو بالقرب من قرية ماعين . والانصاب كثيرة في فلسطين

وسنذكر في مقالتنا هذه معنى الارواح عموماً والجن خصوصاً وما يقولون بالبشر من الاضرار والنكبات على زعمهم . وسنورد مكان تجليهم في شرقي الاردن وما يقام لهم من الاكرام . نروي ذلك دون القطع بصحته وفيه ما فيه من الغرابة والتخيُّل في امر الجنّ

١ في معنى الجن عند العرب

قال علماء اللغة : اصل هذه الكلمة من الاستتار ومن الجَنين لانه مستتر في بطن امه او من الجَنَّة لاستتار ارضها بورقها . وقد ورد عند علماء الفقه ان الجن اجسام هوائيَّة قادرة على التشكل باشكال مختلفة لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقَّة بخلاف الانس (١ . ويزعمون انَّ الله خلق الجانّ من مارج من نار . قال ابن العبَّاس : المارج هو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت . وقال الجوهري : المارج نار لا دخان لها . وفي كنز الاسرار ان الجانّ هو ابو الجن كما ان الانسان هو ابو البشر . وسمي جانًّا لتواريه عن العيان

وفي كتاب الاوائل : ان الله خلق الملائكة والجانّ من جنس واحد فمن طَهُر منهم فهو ملاك ومن خبث فهو شيطان . وما كان بينهما فهو جن (١ . ثم ان الجنّ عصوا وفسقوا عن امر ربهم وسفكوا الدماء . وقال غيرهم ان الجن خمسة انواع جانّ وجنّ وشيطان وعفريت ومارد واضعفها هو الجان وهو مسخ الجن . واقواها هو المارد . وفي الخبر انهم اربعة وعشرون فرقة باشكال مختلفة على صور جميع الحيوانات . وفي مرآة الزمان عن الحسن البصري : هم ثلاثة انواع صنف في البرّ وصنف في البحر وصنف في الهواء (٢

لقد اوردنا ما سطرناه على علّاته نقلًا عن ائمة الفقه والحديث . واليكم قول اهل

---

١) لا يعرف النصارى وسطًا بين الارواح البارَّة اي الملائكة والارواح الشريرة اي الابالسة الذين خُلقوا صالحين ثم فقدوا الصلاح بتمرُّدهم على ربهم فأصبحوا طالحين

٢) روى مجاهد عن ابن العبَّاس قال : « كان في الارض قبل الجن خلقٌ يقال لهم الجنّ والبنّ والطمّ والرمّ واقترضوا ثم سكنها الجن فقاموا يعبدون الله زمانًا فطال عليهم الامد فتمردوا . فارسل الله اليهم نبيًّا كقول القرآن : يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم . وهذا الرسول يقال له يوسف فلم يطيعوه وقاتلوه فارسل اليهم الملائكة فأجلتهم الى البحار »

البادية في الارواح : الجن روح خفي يظهر مراراً بصور مرعبة واشكال مختلفة يتمثل العيان بهيئة انسان او حيوان او جماد . ولقد يمتاز عن النفوس البشرية اذ انه لا يقطن اجداثاً والنفس البشرية ترتاح في ضريح جسدها . والاعراب لا يخشون الملائكة الاطهار وانما يرتعدون لذكر الارواح الخبيثة التي خلقت لاضرار بني الانسان . ولقد ابنّا ان اعتقاداتهم محمولة على الموثرات الخارجيّة فلا يرهبون الّا ما يُنزل بهم ضرراً فيقيمون له اكراماً جزيلاً فالخوف هو مبدأ اكرامهم واجلالهم

ويدّعون ان الارواح تنتقل في اماكن عديدة فتطير من أطلال الى اطلال ومن مروج الى مروج لإرهاب البشر . على ان النفوس البشرية بعد الموت لا ترحل عن اجداثها الّا ما ندر . ومن غريب ما رأيت ان الاعراب قلّما يذكرون الملائكة الاخيار وقد لبثتُ بينهم سنين طويلة ولم اسمع الّا ذكر جبرائيل وعزرائيل ملاك الموت . ولم اسمع انهم قرّبوا ذبيحة لهذه الارواح الصالحة . ولا يسمّون الشيطان باسمه بل يقولون له : باسم الله الرحمن الرحيم

وكان العرب في الجاهليّة يزعمون ان الانسان اذا قُتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يُسمّى الهامة فلا يزال يصيح على قبره : اسقوني الى ان يؤخذ بثأره . وطائفة منهم تزعم ان هذا الطائر هو نفس الانسان تنشط من جسمه ولا تزال متصوّرة على صورة الطائر تصرخ مستوحشة . قال الشاعر العربي :

سُلّط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هامُ

وما زالت العرب تعتقد بالهامة الى ان جاء الاسلام فمنعه وقد ورد في الحديث : لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام (١)

ويرتأون ان الجن يطلب بثأر الجانّ وبقي هذا الاعتقاد بين الأعراب الى ايامنا الحاضرة . وقد رووا ان اناساً اذا قتلوا جانّاً اذ يرونه في الصحراء او جرحوه جرحاً بليغاً فالقاتل او الجارح يصيبه خبل وقلما ينجو من الموت عاجلاً او آجلاً

وقد يعتقدون للاطفال التمائم لدفع الامراض الواردة من الارواح . والتمائم جمع تميمة هي الحرز او خرزة وقطاء تُنظم في السير وتُعقد في العنق قالوا انها سُميت تميمة

(١) العدوى هي سراية المرض . الطيرة هي ما يتشاءم به من الردي . الصفر ضرب من الحيّات . الهام هي نفس الميت او الطير المذكور

لان بهـا يتمّ امر الصبي . وكان الاعراب يضعونها على اولادهم للوقاية من العين ودفع الارواح . وكانوا لا ينزعونها الّا متى بلغ الصبي الحلم فيلبسونه العمامة والازرار ويقلّدونه السيف . وقد نهى عنها الحديث بقوله : « من علّق تميمة فقد اشرك » ولم تزل تلك التمائم بين اهل البادية

وكان الجاهليون يتبخّرون بالعَرَز وهو نبات يشبه الكرفس الواحدة حِزاة وحزاءة . ويزعمون ان الجن لا يقرب بيتاً وُجدت فيه الحزاة فيؤمنون من غوائلها . وللأعراب في ايامنا اعشاب يتدخّنون بها لطرد الارواح سنذكرها في محلّها

ومن خرافاتهم في الجاهليّة اعتقادهم بالسِعْلاة والغول فالسعلاة حيوان من الشياطين تتراءى للناس في ظلمات الليل واكثر وجودها بالغياض فاذا انفردت بانسان ارقصته ولعبت به كما يلعب القط بالفأر . واما الغول فهي ساحرة الجن تتلوّن بصور شتى وتتجلّى في الاطلال لتضلّ الناس عن طريقهم يروون عنها الاحاديث الغريبة . وبعضهم لا يفرق بين الغول والسعلاة . قال احد الادباء :

أأ فحصتُ بي الزمان ولم اجدْ خِلّاً وفيّاً للشدائد اصطفي
ايقنتُ ان المستحيل ثلاثةٌ الغول والعنقاء والخلُّ الوفي

ومنهم من يوقن ان الهواتف هي ارواح غير مرئيّة تجاوب مَن يخاطب نفسه . وهناك خرافات ضربنا عنها صفحاً لما هي عليه من البعد عن مواقع التصديق . ومنهم من يثبت وجود التوابع زاعماً ان لكل انسان تابعاً من الجن . ومن قولهم : لهُ تابعة اي جنّية . وكانوا يستخدمون كعب الارانب كضرب من التمائم لطرد التوابع

٢ مسكن الارواح على زعمهم

﴿ ١ الاطلال ﴾ ان الارواح على زعم العرب تقطن الهواء دهراً طويلاً ثم تعود فتتّخذ الارض موطناً لها لاضرار البشر وتختار الاراضي الخربة والاطلال البالية وسيول المياه والاشجار العالية والروج الخضرة والمغاور الواسعة . ولا ريب ان الاثريين يرتاحون لذكر هذه المواقع القائمة في شرقي الاردن . وهي ملأى من الاطلال القديمة والأنقاض

وقد ذكر التاريخ الروماني والمجامع المسيحية الاولى انّ تلك الانحاء كانت آهلة

بالسكان . مكتظة بالعمارة والبنيان زاهرة بما اقيم فيها من القصور الشامخة والمدن العامرة . على انه طرأ من الحوادث ما قلبها بطناً لظهر ومرّ عليها الغُزاة والفاتحون فدمّروها ولم يبقوا منها الّا اثرًا بعد عين ولبثت اسماؤها القديمة الى دهرنا الحاضر فمن ذلك مدن الكرك وعمان ومادبا وديبان وماعين وكلها اسماء لمدن قديمة اتى عليها من عوامل الدهر ما جعلها رجوماً وانقاضاً

في ربيع سنة الف وتسع مئة وخمس عشرة كنا عائدين من الكرك فانتهينا عند مطلع الفجر الى قصر الرَّبة وهي عاصمة المؤابيين (Rabbat Moab) . فوقفنا نتأمل في رفيع مبناه وما كان عليه من العظمة في الايام الغابرة . واليوم قد شاد عرب المجالي بيوتاً على انقاضه واقاموا مطحنة بخارية يقصدها من يجاورها من عرب الحمايدة والمجالي . غير ان اكثر آثاره واعمدته وحجارته الضخمة لم تزل مبعثرة على جانب الطريق . وكان يرافقني ثلاثة رجال من عرب البقاعين القاطنين مدينة الكرك . واخذ يروي لي احدهم حادثة جرت في ذلك الموضع قال : كان بدوي من عرب المجالي هاجماً ايام الشتاء في هذه المغارة وهي كهف من كهوف الرَّبة والى جانبه فرسهُ امّ عرقوب . واذا في منتصف الليل قد ابرق برقٌ لامع في داخل المغارة ورأى اشباحاً تتحرّك ثم اخذت تأدبُ مأدبةً شائقة قد جمعت من انواع المآكل والمطاعم والزينة والنظام مما لم يقع عليه نظرهُ من ذي قبل

فنهض مذعورًا يعاين هذه المشاهد المريعة والاشباح المريبة . قال : اخسّ من قوم بنس القوم البخلاء لا احد يدعوني الى الطعام . فتابت اليه نفسه وشوّقته الى هذه المائدة الفاخرة فتطفّل وما كاد يقترب منها حتى غابت عن انظاره ولم يرَ من الوليمة اثرًا فقال : هذا مسكن الجن . وفرّ هارباً

ويروي الاعراب امورًا مستغربة عن الاطلال ويقولون انها آهلة بالارواح الخبيثة . فانَّ خربة عطروس وهي عتاروت (Ataroth) القديمة القائمة في ارض سبط جاد تُعدّ مسكونة . وكذلك مكاور (Machéronte) يخشاها البدوي ولا ينزل بها . فاذا سار المسافر في وادي الزرقا وقطع تلك المياه المعدنية الكبريتية يصل الى ارض متجهة نحو الجنوب . فلا يسمع نسمةَ انسان ولا حركة حيوان بل يرى القحط والسكون غطّى تلك الكائنات واذا به بعد ساعات ثلاث امام خربة مكاور .

واول من شاد مسكناً في تلك الاصقاع هو احد ملوك المكابيين لسكندر ياني. ولما دارت رحى الحرب في ايام بومبيوس هُدم القصر. وبقي ردوماً الى ان جاء هيرودس الكبير ورفع اسوارهُ وشاد ابراجه ليصدَّ عنه طوارق الزمان وصدمات الاعداء. وكان هيرودس انتيپاس قد اقام فيهِ سجناً لارباب الجرائم الكبرى. وفيهِ سُجن يوحنا السابق وقُطع رأسهُ (متى ١٤: ٣ — ١٩) فالقلعة عظيمة جدًّا ممتدَّة على قمَّة الجبل كلهِ وسمَّى الاعراب تلك البقعة عطروس. واذا قلَّب المرء طرفه في شواطئ بحيرة لوط يرى ضفَّته الغربية باسرها من شمالها الى جنوبها ثم يمتد النظر الى جبال اليهودية فيعاين حبرون واورشليم وبيت لحم. وهو يرتفع عن سطح البحر المتوسط ٧٢٦ متراً وعن سطح بحيرة لوط ١١٢٠ متراً. ومن مكاور الى عطروس ثلاث ساعات يعلوها المسافر في مواطئ قاحطة. وفي عطروس يشاهد شجيرات بطم مرتفعة بين الصخور والاحجار. فهاتان الخربتان يخشاهما البدوان قلَّما يحلُّون في ربوعهما بل يلبثون بعيدين عنهما. وقد تعهَّدنا بانظارنا تلك الاطلال وتذكرنا النبوَّات الرهيبة وما آلت اليه من الذلّ والخراب. وقطعنا تلك الانقاض الى وادي الهيدان (Hidan) وانتهينا الى ديبان وهي ديبون القديمة التي افتتحها الاسرائيليون كما جاء في سفر العدد (٢١: ٣٠) واسرعنا الخطى نحو عراعر او عَرُعير (يشوع ١٢: ٢٠ و ١٣: ٩) وهي قائمة على شرفة وادي الموجب الشمالية

قف ايها المسافر على قمَّة عراعر واذا بك امام وادٍ عظيم فتأخذك الرهبة والهيبة. هناك هوَّة عظيمة لم ترَ مثلها في كل الاردن الشرقي وهي تنحدر بين عطفات وليَّات الى مسافة متر الى ان تنتهي الى الوادي. فهذا هو وادي ارنون الشهير ويُدعى اليوم وادي الموجب. واذا تسنَّمتَ سفحهُ الجنوبي وعلوت تلك الهضاب كدرجاتٍ الى قمَّتهِ الشامخة تعاين عن بعد جبل شيحان وهو ارقى ذروة في ارض مواب. وهو يعلو عن سطح البحر المتوسط ٨٤٨ متراً. فلما مررنا بتلك السهول الخصبة تمثلنا قول الكتاب حيث يقول: وكان سيحون مالكاً من الارنون الى اليابوك (٣ ملوك ٤: ٤ — ١٩ وعدد ٢١: ٢١ وارميا ٤٨: ٤٥) فالاعراب من مسلمين ومسيحيين يأتون في بدء الربيع ويقدّمون ذبيحة لربّ تلك الاطلال ويستعطفونهُ لاولادهم وغنمهم وماشيتهم

وقد سألت حميدان بن مجلي ما هو هذا الرب؟ قال: هي الارواح التي تقطن من الموجب الى شيحان

﴿ ٢ المياه المقدسة ﴾ اذا تصفحنا التاريخ القديم وجدنا اثارًا عديدة لاكرام المياه المقدسة . فان بئر زمزم كانت مكرَّمة في عهد الجاهليَّة . ولمَّا افرغها جد نبي الاسلام وطهَّرها من الاقذار وجد فيها غزالين وسيوفًا فضية . فان العالمين ولهوزن وسميث (Welhausen et Smith) قد اثبتا ببراهين دامغة وحجج راهنة انها كانت هدايا تبرَّع بها الجاهليون لاله المياه

وروى المؤرخون ان اهل تدمر كانوا يبجلون إلاهة السعادة في بركتهم المقدسة . وذكر ارباب البحث عن ماء شرقي ديوم (Dium) اشتهرت ببركتها المقدسة . فكان السكان يلقون فيها التقادم فاذا نالت رضىً وقبولًا في اعين الالهة تهبط الى اسفلها وترسب في قعرها واذا رفضتها عامت على سطحها (Sozime, Hist. I) . ولم يخرج الكلدانيُّون عن سنن القدماء . فألَّهوا الانهار وينابيع المياه وعزوا اليها قوة عظيمة لاهلاك البشر وتدميرهم فاذًا نتلو في كتابة كلدانية لأُوبَاِنِيني ملك لُوْلُوبِي هذه الكلمات : « ليُهلِك البحرُ الاعلى والادنى اهلَهُ ونسلَهُ بغمره العظيم » . واليكم صلاة وجيزة يطلب قائلها الخلاص من المياه : « لتخلصك مياه الفرات ودجلة وتمحُ ذنوبك وجرائمك وتنجِّكَ اقنية مكلكل ودوركيب » وربما استغاث المؤمن بآلهة دجلة والفرات ايزوم وسوبالال قائلًا : « ليخلصك إلاها الفرات ودجلة ايزوم وسوبالال » . ونجد في الكتاب المقدس في التواريخ القديمة ان الشعوب كانت تطهر الآلهة من الرجس اذ ينضحها كهنتها بمياه الينابيع . ويسونها مياه القديسين . وكانوا يقسمون بالمياه لاسيما بالمنايعات ويرمون فيها الطعام الفاخر والشراب الصفَّى . وربما وهبوا الينابيع وسدنتها ألبسةً ثمينة ومجوهرات نادرة . واضاءوا مصابيح زيت لرب المياه

غير ان الاعراب في دهرنا الحاضر قد اقاموا اجلالاً بنيًا للعيون المشهورة في شرقي الاردن لما رأوا فيها من القوة الغريبة وعهدوا فيها من سلطة الارواح الواسعة كما زعموا فضلًا عن منافعها المتوفرة في ارض قاحلة مجدبة

هناك تفِدُ الاغنام وتستقي بعد حرّ النهار ووقداته . فأول مرتسع للارواح هو

حمام الزرقاء . اذا سار المتجول من قرية مادبا جنوباً يقف بعد ساعة امام قرية حقيرة تُدعى ماعين فيتعهد فيها آثار ثلاث كنائس بحنایاها واعمدتها وكتاباتها ثم يتخذ طريقاً مشهوراً الى حمام الزرقاء . فيصل اليها بعد ست ساعات . وكانت تُدعى قديماً المياه الحارَّة (Callirrohé) . ففي قعر ذاك المنحدر يعاين نبات المناطق الحارَّة كنوبية وجزيرة العرب من الشجار السمر وغيرها ويشاهد المياه المعدنية الكبريتية تتصاعد نحو السماء كاعمدة بخارية . وكان هيرودس الكبير قد اقام على ضفافها حيناً طويلاً . على ان الاعراب يقصدونها من اطراف البادية في شهر ايار فيَرِدونها زرافات زرافات ليستحمّوا فيها وينالوا الشفاء . والقصب الطويل يمتدّ الى شواطئها على مدى بعيد . فيأتي الزائرون ويبنون بالقرب منها مناسك يستظلّون تحت خيمهم متقين اشعّة الشمس . وقبل ان يخوضوا في تلك المياه المعدنية يذبحون ذبيحة لرب المياه . وفي ربيع سنة ١٩١٥ قد حضرنا تلك الزيارة وشاهدنا عدداً عديداً من العربان يستحمّون في المياه الكبريتية . وكانت تفور طوراً تحت الارض ثم ترتفع متفجرة نحو الفضاء . فاذا غارت كان الاعراب يصرخون ويقولون : « رب الماء غضب علينا » واذا سالت بشدة يقولون : « رضي علينا سليمان النبي »

وقد يصبُّ في بحيرة لوط نهيرات متنوعة شرقاً وغرباً فالاعراب يسمونها انهار سليمان النبي . فالبحيرة كلُّها تختص بالنبي سليمان وكلها آهلة بالارواح . فالمياه الشرقية هي سيول جارفة تنضب في ايام الصيف واليكم اسماءها من الشمال الى الجنوب عين السويمة وسيل الغوير وعين المشلة وعين حمارة ثم زرقاء ماعين والسارة وسيل الصافية وسيل الميدان ووادي الوجب ووادي جبل شيحان ووادي درعا ووادي الكراء ووادي النمورة وغور الصافية . واما المياه الغربية فاهمها عين الفشخة ووادي النار ووادي الحَسَاسة والغوير والقامرة والدرجة وعين جدي ووادي عَرَبَة ووادي الحجرا ووادي السيّال

وهناك سباخ ومستنقعات كثيرة تسكنها الوحوش الضارية بالقرب من غور الشريعة وعلى ضفاف بحيرة لوط . فالارواح تتقلبها على رأيهم ويرهبها الاعراب اذا سمعوا فيها من الاصوات المزعجة المرعبة

وبالقرب من السلط عين تُدعى عين الحرامية . وفي الكرك عين الزرنج وفي جبال الحمرة عين الحمرة لا يزال الاعراب يهبها قبل تقديم الذبيحة . وعين الحمرة

واقعة في ارض صخرية وراء سهل الاردن شرقاً ممتدة من الشمال الى الجنوب . فقد روى لي احد الثقات ان عرب العدوان يذبحون على جدول نمرين ذبيحة لرب المياه وذلك حينما يُغَرِّبون اي ينزلون في الشتاء الى هضاب الاردن الشرقي اتقاء لبرد الجبال القارس . واهل الغور اذا ارتقوا الى الشَّقَا اي الى شرفات السهل يذبحون لرب العيون وبنو صخر لهم مياه محفوظة في الرمال شرقي زيزيا يسمونها سيل الثبد وهي آبار قديمة مبنية في الرمال . فاليها يوردون اغنامهم ومواشيهم ايام التشريق ويخشون ان يضربوا اطنابهم قبل ابداء فرض الذبيحة . فيقولون « دستور يا رب الماء »

روى لي عقيل بن سكران العنبر من السلط قال : نزلنا على عين الحرامية زيد الصيد وهي واقعة على مسافة ساعة من الجهة السلطية الشمالية . وهناك غابة سنديان عريقة في القدم . فلبثنا الليلة كلها ولم نُصِب شيئاً وفي منتصف الليل مرَّ بالقرب من كوخنا نمر هائل وكان يطوي الارض والارض ترتجّ تحت اقدامه . فارتعد الصيادون واخذوا يلتصقون بالاغصان لئلا تقع عليهم عين الحيوان المفترس . فقال احدهم : اما تدرون ان المحل مسكون ؟ وصرنا ندعو اسم الله الكريم . ولما زال اضطرابنا وسكن قلبنا فررنا من هذه المناظر المخيفة وعدنا صباحاً قبل الفجر فلم نرَ اثرًا لحيوان فأيقنّا ان المكان مأهول بالارواح

وفي نفس السلط عين ماء جميلة تدعى عين الجادور كانت تنحدر قديماً من القلعة العليا المشرفة على البيونات . فانهدمت تلك القلعة مع تعادي الزمان . وفي ايامنا الحاضرة يرى الاهلون فيها اشباحاً في الليالي الدامسة . فلا يتجرأ احد على المرور في تلك الاطلال الا وبيده بندقية . يزعمون انهُ يظهر فيها عجوز شوهاء تدخن بغليونها الكبير وهي جالسة على الطريق

وقد ذكر لي الشيخ ابو ستة في ماعين ان الارواح ترتاح الى عيون موسى وهو سيل غربي مادبا ينحدر في ارض عرب العوازم والزايدة . والعرب يقربون قرب المياه ذبيحة ممتازة في كل سنة

هذه مزاعم العرب وعاداتهم رويناها كما سمعناها وشهدناها على علّاتها ليقف القراء على معتقداتهم في الارواح تاركين الحكم في صحّتها لاهل الانتقاد

لها تابع

كتاب الكتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب السادس

(38') هذا باب الزيادة وفصولها

١ شروط الزيادة وعِلَلها

اعلم انّهم لا يزيدون في الخطّ من الحروف الّا ما يحذفون وذلك حروف المدّ واللين وما ضارعها لأنّ حروف اللين هي اُمّ الحروف التي لا تخلو منها كلمة وقد بيّنّا ذلك في ما مضى وانّما يزاد الحرف للفرق بين الكلمة وبين غيرها وللعوض من شيء محذوف

٢ زيادة الألف

فمن ذلك الالف تُكتَب بعد واو الجمع اذا لم تتّصل الكلمة بعلامة الضمير او لم يكن بعد الواو نونُ الجميع مثل «فَعَلُوا ولم يَفعَلُوا وبَنُوا زيدٍ وذَرُوا مالي(١)» فان وقعت بعد هذه الواو علامة الضمير او جاءت النون لم تُكتب هذه الالف مثل «لا يَفعلون وهم بَنُوك وبَنُون» فصارت هذه الالف في الخطّ فرقاً بين واو الجميع وبين غيرها وعوضاً فيه من النون (38') في الموضع الذي تسقط فيه مُعاقِبَةً لها ولا يجوز ان تُكتَب هذه الالف في «يغزو ويَبلو» في حال رفع او نصب ولا في مثل «هذا اخو زيدٍ» لما ذكرنا ولأنّ واو «يَغزو واخو زيد» ليستا بمدّتين في الاصل كواو الجميع. قال الخليل بن احمد: «انّ الالف كُتبت مع واو الجميع من أجل أنّ مُنقَطَعَ المدّ عند مخرج الهمز هو أنّ واو الجميع لا اصل لها في الواو وانّما هي مدّةٌ والمدّات لا مُعتَمَد لها في الفم ولكن يتّسع لها الفم فتهوي في جوّه من اقصى المخارج او ادناها ثمّ تنقطع من حيث ابتدأت الهمزة ولم يكن في المدّات الثلث

(١) لم تكتب اليوم الف الجماعة الّا في اخر الفعل (المشرق)

شيء اشبه بالهمزة صوتاً من الألف فنُفصل بين هـذه الواو التي هي مدّة وبين التي ليست بهوائيّة بهذه الزيادة وخُصّت الالف بالفرق لما ذكرنا.

ومن ذلك الالف التي تُزاد في « مِائَةٍ » اجمع النحويّون على أنها للفرق بينها وبين « مئة » (١) . وقد يجوز ان تكون في الخطّ عوضاً مما نُقِصَ من الكلمة وذلك انّها « مِئَةٌ » على وزن « فِئَةٍ ورِئَةٍ » فقد ذهبت لامُ الفعل منها كما ذهبت من « كُرَةٍ وظُبَةٍ » لأنّهـا من قولهم « تَمَأَى القوم » اذا تباعد ما بينهم لعداوة او غيرها فاذا تُنّيت المِائة كانت هذه الالف لما أُلزم ليُفرَق بين تثنيتها وجمعها في الجرّ والنصب فيُكتب الاثنان « اخذتُ مِأَتَيْنِ » (٣٩٢) باسقاط الهمزة لاجتماع الاشباه على ما تقدّم تفسيرهُ ويُكتب الجمع « اخذتُ مِئِينَ » باثبات الهمزة وحذف الالف . ولا تُحذف الالف من التثنية في الرفع كما لا تُحذَف من غيره وتُرَدّ الهمزة في الرفع لزوال الأشباه وذلك « مِائتانِ » فان جُمعت مِائَة بالالف والتـاء حُذفت الالف لأنّها لا تُشبه ها هنا « مِئَة (١) » ولأنّ علامة الجمع قد قامت مقام العِوَض فكُتبت « مِئات » مثل « مِئِين » . وهذا على شذوذه اقرب الى القياس من كثير ممّا يغلطُ جهلَةُ الكتّاب كزيادتهم الالف في مثل « يقرأُوه ومن خَطَائِهِ » ونحوهما وذلك ما لا يجوز بوجه من الوجوه وقد مضى قياسهُ في باب الهمزة

ومنهُ الالف التي تُزاد في « أَنَا » في الكتاب في الوصل والوقف كما تُزاد في اللفظ عند الوقف وكان حقّ هذه الكلمة ان تُزاد عليها هَا في اللفظ عند الوقف (٢) لتحرُّك آخرها ولا يزاد عليها في الخطّ شيء في حالةٍ لأنّها ممّا ينفرد . ولكن لمّا كثُرت في الكلام وارادوا تخفيفها جعلوا الالف بدلاً من الهاء في اللفظ في الوقف كما يبدلون الالف من النون الخفيفة فأُجرِيَتْ في الخطّ مُجرَاهـا في اللفظ وأُلزمت الزيادةُ في الوصل كما أُلزمت في الوقف لئلّا تُشبه « أَنْ » الداخلة على الاسماء والافعـال (٣٩٢)

ومن ذلك الألف التي تُزاد في « حـاشا » في اللفظ في الوقف والإدراج كـا

---

١) يشير الى الكتابة بالخطّ الكوفي قديمًا او الخطّ المهمل دون نَقْط فتُكتب مائة او مِئَة هكذا (منه) كما تكتب لفظة (مـه) فيلتبس الحرفان (المشرق)

٢) اي كأنها كُتبت « أَنَهْ »

فعل ذلك في « أنا » وجرى الخطّ على اللفظ والدليل على زيادتها قول الله عزّ وجلّ (١ : « حاشَ لله » . ولهذا اخترنا كتابها بالالف لانّهُ لا اصل لها عندنا في الياء والواو

٣ زيادةُ الهآء

فامّا الهاء فانّها تزاد في الخطّ على كلّ فعل أُمِرَ به وكان لفظهُ على حرف واحد مثل « زَهْ وعِهْ وقِهْ وفِهْ (من الوفاء) وشِهْ (من الوَشْي) » وذلك انّ الحرف الواحد لا ينفرد فان اتّصل بشيء من هذا ما قبلهُ لم تُلحَق فيهِ الهآء وانّما يتّصل بهِ ما كان على حرفٍ فلم ينفرد كالهاء والواو وذلك قولك : « زيدًا فِي وَجْهَهُ وَشِ ثوبَهُ » ونحو ذلك . وكذلك « مَا » اذا استفهمتَ بها فحذفتَ ألِفَها في اللفظ ولُحِقَتْ بها الهآء للوقف كتبتَ « مَهْ » . فان اتّصل بها مثل البآء واللام لم يَجُزْ اثبات الهآء كقولك « بِمَ ولِمَ » . وقد اجرى بعضهم جميع حروف (40r) الخفض على اكثر من حرف واحد مُجرى البآء واللام مع « ما » اذا حُذفت ألِفُها في الاستفهام فجعلوها متّصلةً بِمَا فاثبتوا الهآء معها في الخطّ في مثل « عَلَامَ وإلَامَ وحتّامَ » . والدليلُ على انّهم وصلوا ذلك كلّهُ بِمَا كَتْبُهم ايّاهُ بالالف وتركهم اليآء فقد جمعوا بين زيادة الهآء وبين وَصْل « مَا » بما قبلها وهذا خلاف القياس والصواب عندنا أن يُكتب « عَلَى مَهْ والى مَهْ وحتّى مَهْ » بالهآء لانّ الميم لا تنفرد والّا تُغَيَّرَ اليآت التي فيما قبلها لانّ ما هو على اكثر من حرف لا يجب وصلهُ بِمَا

٤ زيادةُ الواوِ

فامّا الواو فانّها تُزاد في « عَمْرٍو » في حال الرفع والجرّ ليُفرَق بينها وبَيْن عُمَرَ الذي لا ينصرف . وهذا أشدُّ عن القياس من ألِف مِائة وفيهِ يقول بعض المحدَثين :

أنّما انتَ في سُلَيْمَى كواوِ ألحقَتْ في الهجآء ظُلْمًا بِعَمْرِو

ولا تثبت هذه الواو في القافية لما نذكرهُ في بابهِ ان شاء الله وانّما (40r) كان شاذًّا لانّ مثل هذين انّما يُفرَق بينهما بالشكل ولو زيدت الواو في كلّ اسم اشبههُ

١) سورة يوسف ع ٣١

آخرُ لصار اكثرُ الكلام بواو مثل « قَلْبٍ وقُلُبٍ وقَدْرٍ وقِدْرٍ وعَدْلٍ وعِدْلٍ وحَمْلٍ وحِمْلٍ » . فان نُسِب عمرٌو ونُوِّن او ثُنِّيَ او خُفِّر او أُضيف الى مُضْمَر لم يَجُز اثباتُ الواو فيه بقولك «هذا عُمَيْرٌ وجاءني العُمَران ورأيتُ عُمْرًا ومررتُ بعَمْرِكَ» . ولا تُكْتَب هذه الواو في العَمْر واحد العُمُور ولا في قولك « لَعَمْرُ الله بأعِدْ أمُّ العَبْد من أسيرها » وانّما تُزاد في الاسم العلَم لشهرتهِ في اسمائهم وكثرة استعمالهِ واستعمال ما خِيف ان يُلتبَس بهِ ولم يَخِفْ كخِفَّتهِ

ونظيرُ هذه الواوُ التي تُزاد في « أُولئك » فرقاً بينها وبين « إلَيْك » وفي « أُولَى » فرقاً بينها وبين « إلَى وأَلَا » ونحوهما وهذا اقيَس على كلّ حالٍ من واو عَمْرٍو لأنّها في اسم مُبْهَم والمُبْهَم يقع على كلّ شيْ . فاما « أُلَى » المقصورة التي في قولهم «الأُلَى فَعَلُوا ذلك » فلا تُزاد فيها الواو لأنّ فيها الأَلِف واللام فلا تَلتبس بما ذكرنا . وفيما قلنا من الزيادات دليل على ما لم نذكرهُ

الباب السابع

(٤١) هذا باب البدل وفصوله

١ شروط البَدَل وعِلَلُهُ

اعلم انّ الحروف التي تُبدَل في الخطّ هي التي تُحذَف وتُزاد ولا تُبدَل غير حروف اللين وما ضارعها الّا اتّباعاً للفظ ولا يقع البدل في الكتاب الّا قَرْنًا او تخفيفاً او اتّباعاً

٢ بَدَلُ الهَآء

فممّا يُبدَل لاتباع اللفظ الهآء التي تُبدَل من تآء التأنيث في كلّ اسم مؤنّث مُفرَد . وانّما يُبدَل ذلك في اللفظ عند الوقوف على الكلمة خاصّةً فامّا الخطّ فيُبدَل ذلك فيه في الوقف والإدراج فيُكتَب : « ثَرْوَةٌ طَيِّبَةٌ ومَرْءَةٌ حَسَنَةٌ وهذه جارِيَةُ زَيْدٍ » كلّ ذلك بالهآء الّا أن يُضاف الى مُضْمَر فيُرَدّ الى التآء فلا تُبدَل

فيها الهآء في لفظ ولا خطّ ولا وقف مثل قولك : « شجرتانِ (41) وشجراتٌ فهذا قياس هذا الضرب

وقد خولف بكلمات منه فأُلزمت التآء على كلّ حالٍ في الواحد المؤنث غير المضاف الى المضمر وذلك قولهم « ذاتُ مالٍ ولاتَ حينَ مَناصٍ وياءَيتُها المَرْءَة » لمّا كانت مضافةً او متّصلةً او لا تكاد تنفصل ولم يكن لانفصالها معنًى ومهمّةً او حروفَ معنًى قويت التآء فيها . وكذلك « عَيْهات » لمّا كانت تُكرَّر ويلازمها الاتصال بما بَعْدَها فُعل بها ذلك

ومن ذلك « ثُمَّتَ » في ثُمَّ و« رُبَّتَ » في رُبَّ لمّا تعلّق بهما ما بعدهما وهما حرفان ولم يكن لإفرادهما معنًى أُثبتت التآء فيهما وكذلك « رَحْمَتُ اللهِ » في حال إضافتها الى الله وحدَهُ لكثرة استعمالهِ معهُ في التحيّة صارت بمنزلة ما لا ينفصل بالبتّة . ومن ذلك « اللَّاتُ » اسمُ الصَّنَم كُرِه إبدال الهاء من تآئها لئلّا يُشبه اسمَ الله جلّ وعزّ . ونظير الهآء من « ثَمَرَةٍ وشَجَرَةٍ » هآء « هذه » لانّهُ بدلٌ من يآء التأنيث في هذي

٣ بدلُ الآلِف

ومن ذلك الآلِف التي تُبدَل من التنوين في حال النصب وانّما يُفعَل ذلك(42) في اللفظ عند الوقفِ خاصّةً فكُتبت الالف في الوصل والوقف وذلك « رأيتُ زيدًا العاقلَ ولَقيتُ زيدًا قاضيًا عادلًا » . ونظيرها الآلِف التي تُبدَل في اللفظ من النون الخفيفة عند الوقف وذلك « لا تَضْرِبًا زَيْدًا » وفي الامر « اِضْرِبًا زَيْدًا » تثبتُ هذه الالف في اللفظ في الإدراج ولكنّها في الخطّ تثبت في الحالين (1) . ومنهُ قول الله عزّ وجلّ (2) : لَنَسْفَعًا » . وقول الشاعر :

متى تأتِنا تُلْمِمْ بنا في دِيارِنا تَجِدْ حطبًا جَزْلًا ونارًا تأجّجا

يريد « تأجّجا » بالنون . فاذا اتّصل بها علامة ضمير لم تُكتَب الّا نونًا كما هي في اللفظ كقولك : اِضْرِبَنْهُ . وكذلك اذا كانت لام الفعل همزةً لم تُكتَب الفًا كقولك « اِقْرَأَنْ وا بْدَأَنْ » لئلّا يجتمع في الخطّ ألفان وتُحذَف احداهما فيذهب

(1) الشائع اليوم كتابة هذه الصيغ بالنون : لا تضربَنْ اِضربَنْ (المشرق)
(2) سورة العلق ع ١٥

[illegible] كان صواباً .
[illegible] اضربا عنقه ، وهو شاذ
[illegible] : ألقيا في جهنم كل كفار
[illegible] انهما الملكان وهذا احسن(3)
ومثل ذلك ايضاً قول امرئ القيس(42):

قِفا نَبْكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ

[illegible] يقولان يا صاحبي يا عاذلي للاثنين
[illegible] نونها في خطّ ولا لفظ في وصل ولا
[illegible] ليست بدلاً ولا زيادةً وانّما هي كنون « مِنْ وعَنْ
ولَدُنْ [illegible] ايضاً على قول من جعلها من كلمتين « إذْ وأنْ »
[illegible] ايضاً لا تُبدل الّا أن وقف عليها بالألف منهم فشبّهوها
بنون [illegible] وليست مثلها . وليست كنون « لَدُنْ » التي تُحذف مرّةً
وتكون الّا مرّةً فتكتب في المصحف بالنون(1) . ولو كانت ايضاً ممّا يجب لها الإبدال
لوجب إثباتها في الخطّ نوناً فرقاً بينها وبين « إذا » التي هي للظرف لأنّ ألفها
ثابتة . ومن كتب إذَنْ على التنوين أبدل ووجب عليه ان يُنوّن بالشكل

٤ بدل الواو

[illegible] بدل الواو [illegible] في « الزكاة والزكوة والحيوة » غلطاً في
[illegible] وليس كما ظنّ [illegible] كتبت بزلة « الزلاة والتطلة واللهلة
[illegible] . وزعم بعضهم في كتب الذين كتبوا « الحيوة » بالواو على لغة من
يفخّم الالفاظ التي فيها الواو في مثل « الصلاة والزكاة » . وسيبويه يقول انّ
الالف التي في [illegible] الواو ، [illegible] الحيوان . وكذلك قولهم
رجل بين الحيوة [illegible] الواو بدل من الياء [illegible] في الحديث انّ الله جلّ ذكرُهُ

---

١) سورة ق ع ٢٣ . ٢) فيما ع ٢٥
٣) اي خطاب من الله [illegible] بالمثنّى (المشرق) ٤) اي يقال لدى

لمّا عَلّم آدم الاسماء قالت الملئكة لهُ وعندهُ حوّاء لتَعلَم ما بلغ من علمه قالوا : ما هذه يا آدمُ . فقال : المرأةُ . قالوا : ولِمَ سُميت المرأة . فقال : لأنها خُلقت من المرء . فقالوا : وما اسمُها . فقال : حوّاء . فقالوا : ولِمَ سُمّيت حوّاء . قال : لأنها خُلقت من شيء حيّ . فالواو الأولى من حوّاء على هذا الاشتقاق عند الفريقين مبدلةٌ من ياء . وفي قول سيبويه انّ الثانية ايضاً مبدلةٌ . واما على غالب قول اهل اللغة فانّ حوّاء مشتقّة من الحَوَّة (١) ولو كان ابدال الواو من الف « الصّلاة والزّكاة والحياة » قياساً على لُغة من فخّم ذوات الواو لَلزم الإبدال في جميع نظائر « الصّلاة والزكاة » . وكتاب ذلك كلّه بالالف هو الصواب والقياس . ومن آثر العادة (٤٣) وجرى على الاستعمال في هذه الكلمات خاصّةً لم يَجُز فيها اذا ثُنّي واضاف الى مضمر ووجب عليه الردّ الى القياس والاصل واثبات الاصل فيها كقولك « صَلاتُكَ وزكاتُكَ وحياتُكَ وصَلاتانِ وزكاتانِ وحياتانِ » . وكذلك حكمُ الواو التي تُبدل في الرِّبو (الرِّبا) وهي اقبح لأنها في الطرف

٥ ابدال اليآء

ومن ذلك ابدالهم اليآء من هَمزة « إذ » وقد وقعت اوّلاً ولم يتقدّمها همزة . وانّما فعلوا ذلك بها لمّا جُعلت مع ما قبلها من اسماء الزمان اسماً واحداً مبنيّاً على الفتحة كخَمْسَةَ عَشَرَ فشُبّهت همزتها بالهمزة المتوسّطة في مثل سَئِمَ فجُعل خطُّها على تخفيف اللفظ وذلك « يومئذٍ وحينئذٍ وساعتئذٍ وليلتئذٍ وزمانئذٍ » فهذه قريبة من القياس . فاذا لم يُجعَل الاوّل مع الثاني بمنزلة خَمْسَةَ عَشَرَ وأُعرب الاوّل منها بإعرابه فالصوابُ فصلُهما واثباتُ الهمزة الفاً لزوال العلّة التي صارت بها متوسّطة وذلك قولك : « هذا يومُ إذٍ وكان ذاك في ليلة إذٍ . ورأيتُهُ ليلةَ إذٍ » (٤٤) ونحو ذلك . وعلى هذا اذا وقعت اليآء في لتلّا بدلاً من الهمزة في الخطّ لمّا أُدغمت نون « أنْ » في لام « لا » فصارتا متّصلتَين بمنزلة كلمة واحدة وكثُر استعمالها فجُعلت الهمزة كالمتوسّطة اذ كانت

(١) الحوّة اللون الاسود الى الخضرة . وهذا الاشتقاق باطل فلو عرف ابن درستويه اللغة العبرانيّة حيث ورد خبر خلقة حوّاء الذي نقلهُ اهل الحديث بحرفهِ لمّا قال ذلك وقرّر اصل اسم حوّاء من الحياة وقد جاء في سفر التكوين . انّما دُعيت بذلك لأنها امُّ الاحياء (المشرق)

اللام لا تنفرد وكان ذلك في الخطّ احسن من انْ يُكتب « لأ لا » على لفظ الادغام وتحقيق الهمز فتُكرّرُ الصورة. وكذلك « ان » المكسورة لمّا دخلت عليها لام القسم فأبدلوا الياء من الهمزة فكتبوا « لَئِنْ اتيتني لأكرمنك » لأنها كالمتوسّطة اذ لم تكونا تنفصلان وفرقوا مع ذلك بينها وبين لام القَسَم ولام الجرّ اذا دخلتا على « انْ » المفتوحة في قولهم : « لأن تكرمني احبُّ اليَّ . واكرمك لأنْ تكرمني » فهذا مذهبٌ وقياس

وقد أُجريت همزةُ أبٍ هذا المُجرى فأبدلوا منها في الخطّ الياء من قولهم : « يبي انتَ » (١) لأنّ هذا شيء كثُر في كلامهم حتّى صارت الياء مع ابٍ بمنزلة اسم للتغذية كالكلمة الواحدة فاشتقّوا منها الفعل والمصدر كما اشتقّوا من عبد شمس وعبد قَيسٍ فقيل « عَبْقَسِيّ وعَبْشَمِيّ » فقالوا « بَأْبَأْتُهُ بَأْبَأَةً » ونحو ذلك . وجرى مجرى المثل وجاز فيه ما يجوز في الامثال من الحذف والتغيير . ويدلّ على ذلك قول الراجز (٤٤٢) :

يا بِيَبِي انتَ ويا فوق البِيَبْ . . .

الا تراهُ قد ادخل الالف واللام على بِيَبْ فلو لم يكونا عندهُ اسماً واحداً منكوراً بمنزلة فدّاه ما فعل ذلك . وقال الآخر واشتقّ منها فعلًا :

الخَيلُ بِي أَعلَمُ مَا انْ بُدْنَيْنْ وَانْ بُبَأْبَأْنَ وَانْ يُنَدَّيْنْ

فالهمزة هاهنا متوسّطة ولذلك تُبدَل في الخطّ يآء على قياس تخفيف اللفظ ولا يجوز ان يُفعَل ذلك بأبٍ في غير التغذية على ما بيّنّا

واما ابدال الهمزة في اوائل المصادر التي فيها الف الوصل عند سقوط الفات الوصل منها واتصالها بحرف لا ينفرد يآء مرّةً وواوًا مرّةً والفًا مرّةً كقولك : « اضمتْ مالي بأنْبَاني زيدًا ولأنْتجاري عمرًا . ولم ارَ كأنْبَاني زيدًا . والله لأُبَارِي كان أجملَ بي » فانّما ذلك لاتباع الخطّ اللفظَ وذلك انّ الف الوصل لمّا ذهبت في اللفظ تبعت الهمزةُ حركةَ ما قبلها فصارت يآء مع المكسور والفًا مع المفتوح الّا انّ الفَ الوصل لا تُحذَف من الخط مع المكسور وتسقط مع المفتوح لأنّ الهمزة التي بعدها قد صارت الفًا ايضًا فلا يُجمَع بين المثلين لِما (٤٤٣) قد بيّنّاهُ . ولو لحقت هذه

(١) اي بدلًا من « بأبي انت » وهو اليوم غير مأنوس

المصادر حروف تنفرد لبقيت على حالها في الابتداء وذلك مثل ٥ ما انتاني زيداً صواباً ووجدت انثيجاري عمراً اضوب ٥٠ وباب الهمز أجمع من باب البدل ولكنا قد اوردنا ذلك عما ليس بهمز وعما شذ عن بابه . وفي ما بيناً دليل على ما لم نذكره

(له تابع)

طرفة

من اخبار دير الشرفة

للقس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

اننا اقراراً بما لدير الشرفة قبلنا من الأيادي البيضاء واظهاراً لما يستبطنهُ قلبنا نحوهُ من عواطف الحبّ والولاء اذ ارتشفنا من مناهله الصافية مياه الآداب المسيحية والتقطنا من حديقته النضرة زهور التعاليم الكهنوتيَّة منذ عام ١٨٩٥ الى ١٩٠٣ شئنا ان ننشر على صفحات المشرق الأغرّ طرفة من اخباره السالفة مهيئين الكلام في من أدّى له الخدم المشكورة وتهالك في سبيل نجاحه ولاسيّما الاخ رزق الله سفوك قيم ارزاقه والشماس يوسف تبّان وكيل مادياته فنقول :

١ وصف دير الشرفة وتأسيسه

الشرفة دير شهير ومعهد جليل للسريان الكاثوليك أمّهُ السيّد اغناطيوس ميخائيل جروه البطريرك الانطاكيّ عام ١٧٨٥ في كسروان بلبنان ودُعي الشرفة لإشرافهِ على قريتي درعون وحريصا تحفّ به اشجار الصنوبر والسنديان والتوت ويطلّ على مصيف قصادة سوريا الرسولية وعلى مقام سيّدة لبنان المشيد عام ١٩٠٤ وعلى دير مار يوسف الحرف لراهبات أسرة نطين وعلى مدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم التي أُنشئت سنة ١٩١٤ بمساعي السيّد فرديانو جيانيني القاصد الرسولي وعلى دير الآباء البولسيين المرسلين الملكيين الذي شاده سنة ١٩٠٣ السيّد جرمانوس معقّد الطيّب الذكر .

على ان البطريرك ميخائيل جروه المذكور في الخير بعد ارتقائه الى السدّة البطريركيّة في دير الزعفران بناردين على جميع السريان اضطرّ ان ينهزم من وجه خصومه سنة ١٧٨٢ الى الموصل وبغداد ويجوب المفاوز والفلوات مضطرّاً على الأتعاب والمشقّات فقطع تلك المسافة البعيدة بمخاوف شديدة واخطار جمّة عديدة متعلّلاً ظهر بعير الى ان افضت به العناية الالهيّة بعد ١٥ يوماً الى قرية بيت شباب بلبنان ١) في سابع اذار ١٧٨٤ فنزل في دير مار انطونيوس النبع . وما مرّ عليه ثمّ اربعة اشهر حتى اضطرّ الى ان يغادره ويسكن بيت احد الفلاحين فلحق به اذ ذاك صديقهُ الحميم السيّد ايونيس نعمة الله الصدّي وكان قد اعتنق على يده الايمان الكاثوليكيّ في دير الزعفران سنة ١٧٨٢ فاستمرّ البطريرك والمطران والشمّاسان زكريّا القطربّليّ وتوما الآمدي في ذلك البيت الحقير يستعطون القوت اليوميّ ويرقدون على الحضيض من دون حصير ٢) الى كانون الاول ١٧٨٤ ولم يستحبّ البطريرك الذهاب الى دير مار افرام الرغم في الاشبانيّة ٣) اذ كان فيه وقتئذٍ المطران يوسف قدسي لان الله سبحانهُ أعدّه لعمل آخر اجلّ وأفضل وهو تشييده ديرًا للطائفة على اسم سيّدة النجاة في الشرفة

ذلك ان البطريرك ميخائيل المغبوط غادر بيت شباب في اوّل كانون الاوّل ١٧٨٤ ويتم الشرفة فاستأجر بعد ستة ايّام المحلّ بعشرين غرشاً في السنة وكتب صكّ الايجار وشهد فيه السيّد بولس اسطفان والقس جرجس رئيس دير الكريم للارمن والقس حنا والقس بولس والشيخ نوفل الخازن وانطون الحاج موسى . ولمّا كان ١٥

١) راجع مجلة المشرق (٣ : ٩١٢ – ٩٢٦)

٢) عن رسالة البطريرك الى المجمع المقدّس بتاريخ ٢٦ ايّار ١٧٨٤

٣) شيّد دير مار افرام سنة ١٧٠٩ بمساعي السيّد اثناسيوس سفر المطران ماردين (+ ١٧٢٨) راجع هذه المجلّة ٩ : ٧٦٥) وعرفنا من رسائله السيّد غريغوريوس نعمه قدسي (+ ١٧٤٠) والسيّد ديونيسيوس بشاره (+ ١٧٥٩) والسيّد غريغوريوس جرجس فتّال (+ ١٧٢٧) والسيّد غريغوريوس يوسف قدسي (+ ١٧٩٧) والخوري الياس ابرخان (سنة ١٧٢٨) وظلّ الدير مأهولاً بالرهبان حتى سنة ١٨٦١ فشدّ عليه الدروز وخيبوه واهانوا السيّد كوارتوس يوسف حانك ونبشوا مدافن الاساقفة والكهنة واحرقوا رفاتهم وذرّوا الرماد في الحقل وفتكوا بالراهب مبارك قوليه والاخ عبدالله والقوما على صخور الوادي فانفلقت هامتها وقضيا من ساعتها

ايلول ١٧٨٦ عوّل البطريرك السعيد الذكر على شراء المحلّ مع ارزاقه وكان ذلك المحلّ عبارة عن بناء صغير وحرج وتوت وكرم وارض زرع (سليخ) فابتاعه من الشيخ ابي فارس انطون الحاج موسى الشنيمي بمبلغ ٢٦٣٢ غرشاً واستحضر في ١٦ ايّار ١٧٨٧ المعلّم حنا الدرزي والمعلّم سمعان شهوان وسمد ثابت العجلتوني والشدياق اسطفان فليفل الدرعوني فخمّنوا عليه المبلغ المذكور وأيّد البيع والشراء الامير يوسف الشهابي بشهادة السيّد يوسف تيّان مطران دمشق والاب يوحنا رئيس الرهبان الارمن العام والقس جرجس الارمني والقس سمعان صبّاغ السريانيّ والشيخ غندور سمد الخوري والشيخ نوفل الخازن وانطون جباره . ثمّ عرض البطريرك ميخائيل حجّة البيع والشراء على مقام البطريركيّة المارونيّة فأيّدها السيّد يوسف بطرس اسطفان البطريرك الانطاكيّ والمطران يوسف نجيم والمطران يوحنا الحاج وجمهور راهبات دير الحصن . وبحضورهم عدّا الخوري صالح بن حصن الخازن عن حقوق الشفعة

ولمّا تمّ ذلك كلّه طبقاً لنيّة البطريرك المغبوط دعا المحلّ باسم سيّدة النجاة اقراراً بفضلها لانها صحبتهُ في الحلّ والترحال وأنقذتهُ من الشدائد والأهوال وبلّغته الى هذا المقام . وما زالت ايقونتها الكريمة التي كان يحملها اينما اتّجه محفوظة حتى اليوم في ديره بالتجلّة والاكرام . ثم وقف الدير وأرزاقهُ وجميع امواله المنقولة وغير المنقولة لله تعالى وحتّم ان يكون مقاماً لمن يخلفه من البطاركة على الطائفة السريانيّة الكاثوليكية وحرّج عليهم ان يبيعوا او يرهنوا او يهبوا شيئاً مما مخصّهُ . واستلم في ١٥ ايلول ١٧٨٦ من الشيخ ابي فارس جميع الحجج القديمة كحجّة امّ حصن الموجهة الى الخوري يوسف مارون الدويهيّ والحجج التي كانت عند السيّد يوسف بطريرك الموارنة . وبعد ذلك كلّه كتب الى الحبر الاعظم مار بيوس السادس والى المجمع المقدس يخبرهما بالأمر ويتوسّل الى الحبر الروماني ان يؤيّد عملهُ فكتب اليه صك التأييد واليك نصّه معرّباً :

البابا بيوس السادس للذكر المخلّد

ان اخوتنا الموقّرين كرادلة الكنيسة الرومانيّة المقدّسة المفوّض اليهم امر افتتاح الايمان المقدّس عرضوا علينا بواسطة ولدنا الحبيب المونسنيور اسطفان بورجيا كاتم الأسرار ان الاخ الجليل اغناطيوس ميخائيل جروه بطريرك السريان الانطاكي قد اشترى وامتلك في درعون بجبل

لبنان ديرًا سمّاه دير سيدة النجاة واستحدث فيه أبنيةً وطلب ان يكون هو وجميع ملحقاته وقفًا دائمًا ثابتًا له ولخلفائه البطاركة . والتمس من المجمع ان ينوب منابه في التوسّل الينا لتوكيد ارادتهُ بسلطاننا . امّا نحن فعلاوةً على مزيد اعتبارنا إيّاه لاقاه هذا البطريرك من الاضطهاد والشدائد في سبيل الايمان الكاثوليكيّ قد ازداد حبًّا له لسبب كرمهِ وفضله هذا التقويّ وقبلنا توسّلهُ بيشاشة وترحاب واذنا واثقون كلّ الثقة ان ذلك يحمله على اعتبار كثرة تعطف الكرميّ الرسوليّ عليه والتفاتهِ اليه . ومن ثمّ فنحكم بقوّة اسطرنا وبراءتنا هذه ونريد ونأمر بسلطاننا الرسوليّ ان يكون دير سيّدة النجاة المذكور مع جميع ما يملكه من الارزاق الآن وفي مستقبل الزمان وقفًا ثابتًا مؤبّدًا حسب نيّة البطريرك اغناطيوس ميخائيل وان يكون ذلك تحت تصرّفهِ وتصرّف البطاركة خلفائه . ونضيف الى ذلك اننا قد قبلناه وتقبله تحت حماية كرسيّنا الرسوليّ ومجمع انتشار الايمان . ونتعي بسلطاننا الرسولي كائنًا من كان عن التعدي عليه او التلاعب باملاكه او الاختصاص بشيءٍ منهُ لذاتهِ ونمنع المنع المطلق عن بيع او هبة شيءٍ منه ومن خالف أمرنا هذا سقط حالًا في الحرم المحفوظ حلّهُ لنا ولمن يخلفنا اذا كان المتعدي في قيد الحياة

أُعطي في رومية جانب مار بطرس تحت ختم الصيّاد ٢٢ ايّار ١٧٨٧ وهي السنة الثالثة عشرة لحبريتنا + انكردينال ولدس برسكي دي ارنسي

ولمّا تلقّى البطريرك منشور الآب الاقدس ازداد فرحًا وسرورًا ونذي شيئًا من وزاياه فكتب الى الحبر الروماني في ٨ اذار ١٧٨٨ يشكر له تلطّفه وعطفه ويقول: « ان دير سيّدة النجاة يخصّ البطريرك الانطاكيّ السرياني الكاثوليكي دون غيره على شرط ان لا يبيع ولا يرهن ولا يهب شيئًا من ارزاقهِ بتّة . امّا كهنة الدير وناذرو الفقر والطاعة لنا ولخلفائنا فلهم حقّ المعيشة والكسوة على البطريرك شرعًا وذمّة لان كلًّا منهم هو كجزء من جسد جمعيته »

٢ افتتاح دير الشرفة

ومنذ إذٍ طفق البطريرك يراسل بلاد السريان كحلب وماردين والموصل وبغداد ودمشق والنبك في استحضار شبّانٍ ليدرسوا عليه العلوم الكهنوتيّة . وفي ٢٤ اذار ١٧٨٨ الشمّاس زكريا ابن الخوري اسحق الامدي الى الدرجة الكهنوتيّة . وسمّاه يوسف ثم مطرانهُ على ديار بكر في ٢١ تشرين الثاني ١٧٩٠ ودعاه يوليوس

انطون وجعله وكيلاً اي رئيساً على الدير واجتمع اليه منذ ذاك عدد من الطلبة ارتقى اغلبهم الى الدرجة الكهنوتية(١

وفي هذا الدير عينه تخرّج البطريرك اغناطيوس ميخائيل ضاهر الحلبي († ٢٢ كانون الثاني ١٨٢٢) والبطريرك اغناطيوس بطرس جروه(† ١٦ تشرين الأول ١٨٥١) والسادة كورتس انطون الديار بكري († ١٦ كانون الثاني ١٨٤١) واثناسيوس جبرائيل حمصي († تشرين الثاني ١٨٥٣) وكورتس يوسف حانك († ٢٨ شباط ١٨٦٣) وباسيليوس ميخائيل هدايا († ٥ كانون الثاني ١٨٢٧)

وبعد وفاة البطريرك ميخائيل مؤسس الدير المذكور في الخير تولّى رئاسته السيد انطون الآمدي وكان يساعده في القاء الدروس على التلامذة القس بطرس جروه . وهما اللذان اوفدا القس توما الماردينى الى حلب وما بين النهرين والعراق ليجمع الصدقات من المؤمنين لتشييد غُرَف لسكنى التلامذة . وقرأنا في رسالة اوفدها السيد انطون الى القس المذكور في ٤ تموز ١٨١٢ يقول:

« اما بشأن العمارة نحن اليوم مشغولون ببناء الغرف وان شاء الله ينتهي في الشتاء ولا نقدر ان نكثّر المسلة لضيق ذات يدنا »

وكتب ايضاً الى القس يوسف جبي بمصر في ٢ نيسان ١٨١٢ :

« انا ابتدأنا نشيّد الغرف فوق القبو لانه لا يوجد محل لسكنى التلامذة وقد التمسنا ان نبني على شدّة حاجتنا وضيقتنا »

---

١) وهذه اسماؤهم : الخوارنة انطون قدسي الحلبي وشكرالله قوليه وروفائيل طنبرجي وشكرالله براغيث وروفائيل موسى وجبرائيل سريدار وميخائيل صانع ثمّ القسوس توما الماردينى ويوحنا عاقل ويوسف جبي والياس شدياق ويوسف سكّر وجرجس جروه وميخائيل توما التبكي وبولس توما الموصلي وميخائيل جروه ويوسف طبّاخ وانطون يازجي وعبدالله حمصي ويوسف سوكي واندراوس يشوع وافرام مداراتي ويوحنا اسلامبولية وفيلبس قزازه ويحنا هزاز وتوما صباغ ولوقا حسن . فهؤلاء الكهنة اجمع تربّوا في دير الشرفة وفيه تلقّوا العلوم الكهنوتية منذ نشأته الى سنة ١٨٣٠ . ومن جملة تلامذة الشرفة الاوّلين ميخائيل دقّاق شلحت وفتح الله الطوبجي والياس يوسف شقال وانطون عرقجنجي ومينا مبارك شاه ويوسف قطلي وانطون عبد المعطي حمصي وميخائيل عركوس وذكريا سليمان الموصلي وجبرائيل اسلامبولية ومتى توما الموصلي ويوسف حنا سوكي وجرجس شموني وعبدالله كويفاتي ويعقوب حانك وعمه ابن القس جرجس شدياق وبطرس زلّوعاس وجرجس ومتري وَلَدَي ميخائيل ذيحا وموسى بن عمه شيحا ومبارك بن يوسف رباط الخ

وخلف السيد انطون في رئاسة الدير السيد غريغوريوس بطرس جروه في ١٥ كانون الاوّل ١٨١٤ فأنجز البناء ورمّم دير مار افرام الرغم وشاد فيه طابقاً ثانياً وتولّى بعده أمر دير الشرفة سنة ١٨٢٥ المطران جبرائيل حمصي ولكنه لم يكترث لأمور التلامذة فانهزم اغلبهم وظلّت الامور مبلبلة حتى عاد البطريرك بطرس جروه واستلم الرئاسة على الدير سنة ١٨٢٨ واقام بعد ذلك الخوري جرجس صعب الحلبي رئيساً وتوجّه هو الى حلب

٣ المحسنون الى دير الشرفة

ولا بدّ لنا من ان نورد ههنا اسماء بعض الذين أسعفوا دير الشرفة تخليداً لذكرهم مستمطرين غيث الرحمة الالهية على نفوسهم فنذكر اوّلاً بعد البطريرك ميخائيل والبطريرك بطرس ابن اخيه والشماس حنا شقيقه جلالة كرلس الرابع ملك اسبانيا وقرينته الفاضلة مادي لويز الكريّة والكونتسا ويلا دي هوموزا وغيرهم من الاسبانيين النبلاء الاسخياء الذين تبرّعوا على الدير باموال طائلة وأمتعة كنسية قدّموها عن يد القس الياس دبّ الحلبي وكيل البطريرك ميخائيل في مدريد . ونضيف الى عدد هؤلاء الكرام السيد ايرنيس نعمة الله الصدّي (٢١ ايار ١٨٢١) والبطريرك اغناطيوس سمعان زوره (٢١ آب ١٨٣٩) والخوري الياس ايرخان والخوري روفائيل طنبرجي والخوري شكرالله براغيث والقس يوسف جبّ وجرجس اجقم واسطفان شدياق والحاجّة مريم قرينة فرج الله مبارکشاه وجبرائيل اسطنبولیه وانطون الياس صرافيا

وقد اقتفى هؤلاء الافاضل الخوري ميخائيل ازرق والخوري يوحنا طوّاف والخوري بولس راضيه والقس فيلبّس قزازه وسيّدة ابنة يوسف حلّاق الدمشقية . ونهج منهاجهم السيّد غريغوريوس متى نقّار (٢٨ اذار ١٨٦٨) والبطريرك اغناطيوس جرجس شلحت (٨ كانون الاول ١٨٩١) والسيّد اوسطاثيوس موسى سركيس (٢٠ آب ١٩١٨) والخوري انطون قرواني الذي نُصّب وكيلاً لارزاق الدير منذ عام ١٨٨٨ وتبرّع عليه بشيء من املاكه . وزد عليه أسرة الكونت نصرالله دي طرّازي ولاسيّما الفيكونت فيليب الذي اعتنى بنظم سجلّات الدير

وصنف كتاباً في اخباره سمّاه « التحفة في اخبار دير الشرفة »

٤ تحويل الدير الى مدرسة كهنوتية

صرف بطاركة السريان ورؤساء الشرفة العناية الى تدريس التلامذة وتلقينهم العلوم والفضائل الراهنة مدّة خمسة وخمسين عاماً وأتت أتعابهم بيانع الثمار وقد اوردنا آنفاً اسماء الكهنة الذين خرجوا من هذا المهد المبارك وخدموا النفوس في البلاد الشتى . ولمّا كانت سنة ١٨٤٢ رأى البطريرك اغناطيوس بطرس جروه ان يحوّل الدير الى مدرسة كهنوتية ينظر البطريرك في شؤونها وينتدب لها رؤساء يصرفون المساعي في نجاح تلامذتها . فكتب الى البابا غريغوريوس السادس عشر الحبر الروماني يكاشفه بما في نيّته فاستحسن الحبر الاعظم رأيه وكتب منشوراً بتاريخ ١٠ ايلول ١٨٤٢ يؤيد طلبه وسمّى الخوري جرجس صعب تلميذ البروبغندا رئيساً للمدرسة . وأقيم الخوري ميخائيل ازرق الحلبي مساعداً للرئيس وراعياً للتلاميذ . وفي سلخ آب ١٨٤٥ رقّي الخوري جرجس الى اسقفية طرابلس وسمّي اقليميس بولس وظلّ يسوس المدرسة ويديرها بالحزم والغيرة الى ان اسلم الروح في ميروبا في ١٧ آب ١٨٤٩ وهو الذي استقدم الى المدرسة في ١٠ نيسان ١٨٤٩ الاب يونيفاثيوس سورانيا اليسوعي ليساعده في تدريب الطلبة على الفضيلة وتثقيفهم في العلوم الدينيّة والمعارف الكهنوتيّة وشاد الغرف في شرقي المدرسة وأنجزها بعده الخوري ميخائيل ازرق سنة ١٨٥٠ وهو الذي خلفه في الرئاسة الى سنة ١٨٧٩ اعني مدّة ثلاثين سنة ولم يدّخر وسعاً اثناء ذلك في توسيع نطاق ارزاقها وتحسين املاكها وتنظيم قوانينها واصلاح شؤونها وزاد على ذلك كلّه انه وقف عليها جميع ما ملكته يده وقد عرف البطاركة ولاسيما البطريرك فيلبس عركوس لهذا الرئيس النبيل فضله وتعبه وقدروا له غيرته وكدّه وعوّلوا غير مرّة ان يرقّوه الى الدرجة الاسقفيّة كسالفه فأبى كل الاباء واخيراً انعموا عليه بلبس التاج والخاتم والصليب مكافأة لأعماله الصالحة ورقد بالرب في ١٣ تشرين الثاني ١٨٨٦

وخلف الخوري ميخائيل ازرق الخوري يوسف معمارباشي الماردينيّ في ٢٤ حزيران ١٨٧٩ وفي ٨ نيسان ١٨٨٠ أوعز اليه البطريرك جرجس شلحت ان يتوجّه الى رومة

واسبانيا واميركا ليجمع الحسنات في سبيل تشييد دير مار افرام بماردين وانجاز بناء كنيسة الشرفة الحديثة (١ ففوّض الخوري يوسف تدبير التلاميذ الى الخوري افرام ابيض الحلبي الراهب الافرامي حتى ٢٨ ايلول ١٨٨٢ فعاد واستلم ازمّة رئاستها الى ١٥ نيسان ١٨٨٣ ثم سافر الى ماردين وناب منابهُ القس موسى سركيس الدمشقي الى عاشر تشرين الثاني ١٨٨٣ فكرّ راجعاً الى المدرسة وظلّ يدبرها الى ٢٣ آب ١٨٨٤ فاوفده البطريرك الى النبك وجعل مكانه سنة ١٨٨٥ الخوري باسيل قندلفت الحلبي فثلج الخوري يوسف وعاد الى وطنه وتوفي فيه ليلة عيد الصعود سنة ١٨٨٩

وبعد الخوري باسيل تولّى شؤون المدرسة الخوري بطرس بزعيك الماردينيّ منذ ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٦ الى ٦ تشرين الاوّل ١٨٨٧ وخلفه الخوري باسيل قندلفت ثانيةً حتى سنة ١٨٨٨ فولي مكانه الخوري موسى سركيس حينما انعقد المجمع الملّي المعروف بمجمع الشرفة وكان افتتاحه في ٢٢ تموز واختتامه في ١٣ تشرين الاوّل ١٨٨٨ وترأسه السيّد لودوفيكو بياتي نيابةً عن الحبر الروماني وكان السيّد غودنسيو بنفيلي والخوري بولس عوّاد بمثابة لاهوتيّين (٢ وغدا هذا المجمع الشهير دستوراً للطائفة ولكنّه لم ينشر بالطبع بعدُ الّا باللغة اللاتينيّة فقط . وزاول الخوري موسى تدبير المدرسة الى ٢٧ كانون الاوّل ١٨٩٣ وهو الذي ابتنى ردهة الاستقبال والمنام

وتولّى الرئاسة بعده السيّد يوليوس باسيل قندلفت بعد ما رقاه شقيقه السيّد ثيوفيلس انطون الى مطرانيّة يافا بتفويض من لدن السيّد البطريرك اغناطيوس بهنام بنّي في ٢٤ كانون الاوّل ١٨٩٣ ونصبه البطريرك رئيساً للمدرسة بعد الرسامة بايّام ثلاثة

وخلفه الخوري بولس هبرا الدمشقيّ في ١٥ شباط ١٨٩٥ وظلّ يسهر على صوالح المدرسة. ويبذل الساعي في تدبير امورها وتحسين شؤونها المادّيّة والعلميّة حتّى ٢٦

١) وضع الحجر الاوّل لكنيسة الشرفة في ١٦ آب ١٨٧٦ وعقد سقفها سنة ١٨٧٧ وانجز بناؤها في ١٤ آب ١٨٨٢

٢) كان آباء المجمع غبطة البطريرك جرجس شلحت والسادة قرلس بهنام بنّي مطران الموصل واثناسيوس روفائيل جرجي مطران بغداد واقليميس يوسف داود مطران دمشق ويعقوب متى اسحر دلته اسقف نصيبين والجزيرة وثيوفيلس انطون قندلفت اسقف طرابلس وربولا افرام رحماني اسقف الرها وماروثا بطرس طوبال اسقف ديار بكر

كانون الثاني ١٩٠٢ فنُصب مطراناً لابرشيَّة الموصل وتولَّى نيابة الرئاسة من بعده القس موسى دلَّال الدمشقيّ الى ايلول ١٩٠٣ فخلفه الخوري موسى سركيس وتابر يخدم المدرسة بكلّ جد واجتهاد حتى ٢٤ تشرين الثاني فسُقف على الرستن باسم اوسطاثيوس موسى وجُعل نائباً بطريركيًّا على حمص وحماة وتوابعهما. ورُقّي منه الى مطرانيَّة بغداد سالفة في رئاسة المدرسة القسّ موسى دلَّال ودُعي السيّد اثناسيوس جرجس وهو الذي وجه عنايته خاصَّةً الى ابتناء الطابق الثالث على طرز حديث

وفوضت رئاسة مدرسة الشرفة بعد ذلك الى حضرة الخورفسقفوس افرام حيقاري في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٢ وهو الرئيس الحالي

ومذ سنة ١٨٤٢ الى يومنا تخرّج في هذه المدرسة البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس (✠ ٧ اذار ١٨٧٤) والسادة فلبيانس بطرس متاح (✠ ١٦ حزيران ١٨٧٤) ومارونا بطرس طوبال (✠ ١٩١٥) واثناسيوس رافائيل برخي (✠ ٢٩ نيسان ١٨٩٠) ويعقوب متى احمر دقته (✠ ١ نيسان ١٩٠٨) وثيوفيلس انطون قندلفت (٥ آب ١٨٩٨) وقرلس بولس دانيال (✠ ١٢ تشرين الثاني ١٩١٦) وغريغوريوس برجس شاهين (تقطن في ١٩ ايار ١٨٧٢) واثناسيوس اغناطيوس نوري (١٦ حزيران ١٨٩٥) وفلبيانس ميخائيل ملكي مطران الجزيرة الذي قتل شهيداً في ٢٧ آب ١٩١٥ (القصارى في نكبات النصارى ص ٣٨٤)

وفي هذه المدرسة درس زمناً وجيزًا السيّد اقليميس يوحنا معمار باشي تلميذ اليسوعيين بغزير (✠ ٢١ ايار ١٩١٤) والسيّد اقليميس ميخائيل نجاش تلميذ بروبغندا والسيّد اوسطاثيوس موسى سركيس تلميذ اليسوعيين بغزير والسيّد غريغوريوس هبرا والسيّد اثناسيوس جرجس دلَّال تلميذا البروبغندا . وندمج في سلك هؤلاء اسماء بعض كهنة الشرفة الذين تُتلوا في سبيل الايمان المقدَّس كالخورفسقفوس رافائيل بردعاني تلميذ البروبغندا ثمّ غزير والقسوس يوحنا بنابيلي ومتى ملاش وتوما مرجان وملكي شمعون وبنيام خزيمه والراهب افرام الرهاوي . ومنهم من برح بهم اعداء الدين واثخنوا فيهم ولكن الله تعالى انقذهم من الموت الاحمر كالقس متى خزيو الماردين والقس يوسف ربّاني الوصلي [القصارى في نكبات النصارى ص ٢٠٧—٢٢٥]

٥ الاخوة الافريميون في الشرفة

ما اكتفت الشرفة بتثقيف اساقفة وكهنة لرعاية النفوس وخدمتها بل فتحت احضانها لقبول زمرة من الشبّان المتضوين الى اخوية مار افرام ولاسيما بعد حريق دير الرغم وخرابه كما قدّمنا . على ان آباءنا البطاركة احتراماً لغاية البطريرك ميخائيل المطوّب الذكر راموا ان يجدّدوا تلك الاخوية في دير الشرفة. فأضحت الشرفة والحالة هذه ديراً ومدرسة معاً . واوّل من جدّد الاخويّة في الشرفة كان البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت في غرّة تشرين الاوّل ١٨٧٦ . وكان اوّل من نذر النقر والعفّة والطاعة الخوري افرام ابيض الحلبي واقتفى آثاره السيد اقليميس ميخائيل نخّاش والسيد غريغوريوس بطرس هبرا وجملة من الكهنة(١ وأضاف البطريرك المغبوط الى ذلك انه انشأ في ماردين سنة ١٨٨٤ ديراً جليلاً جعلهُ المركز الاوّل لهذه الاخويّة وقد نشرنا على صفحات المشرق [١٢ : ٧٦٠] تاريخ ذلك الدير سنة ١٩٠٩ وخرج منه كهنة غُيُر خدموا الطائفة في بلاد ما بين النهرين وسوريا وقُتل منهم نفر سنة ١٩١٥ الدموية في سبيل الديانة المسيحيّة كالقس بطرس حمّال في مذيات وبولس قسطن في الجزيرة وافرام القصوراني في سعرت وابرهيم كرّوم في ديركه وملكي شمعون في باته ويوسف معمار باشي في ماردين وبولس هيمو في قلّث (٢

امّا الاخوة الافريميون الذين خدموا الشرفة بأتعابهم وأعراقهم وأولوها الفوائد الروحيّة والزمنية بمثالهم ومشيّاتهم ووقفوا نفوسهم على خدمة سيّدة النجاة امّهم فنذكر في مقدّمتهم المقدسي ميخائيل قنّاف الحلبيّ الذي يمم هذا المعهد المقدّس عام ١٨٤٢ ودفع الى رئيسه الخوري جرجس صعب عشرة آلاف غرش فاشترى بها الخوري ميخائيل ازرق سالفهُ ناعورة في جونيه وقطعتي ارض مغروستين توتاً في ظهر حريصا وقطعة ارض اخرى في ميروبا . وبعد اثنتي عشرة سنة اودى ميخائيل وصيّته الاخيرة

---

١) منهم المحوارنة يوسف شلحت رحنا حمصي وميخائيل دلّال الحلبيّ والقس بولس سباط الحلبي وبطرس صليو الماردين وبولس صعب الحلبيّ وبطرس ابن الشماس عازر وحنّا زلّو وبطرس عبد الاحد وافرام حنوش والياس مصري

٢) راجع كتاب القصاري في تكبات النصارى تر تراجم هؤلاء الكهنة وتفاصيل استشهادهم

المتبرّع ونفس والديه . وسنة ١٩١٥ وهب الاخ رزق‌الله الدير عشرة آلاف غرش وتفرّغ منذ ذاك للتأهب الى الرحيل الى دار البقاء

وامتاز هذا الاخ المنير بجميد الخصال وطيب الخلال ولاسيما رسوخهُ في الايمان القويم واجلالهُ للاسرار الرهبية واحترامهُ للطقوس البيعيّة واعتبارهُ لعادات الكنيسة المقدسة واستحصل لهُ الخوري ميخائيل ازرق الإنعام من المجمع المقدّس بان ينظم ذخيرة عود الصليب الكريم وذخائر اولياء الله القديسين ويعرضها للاكرام والبركة

وكان يدمن الصلوات اينما حلّ ويتار فروضهُ في وقتها لا يعجّلها ولا يؤجّلها . وكان يجتمع بالعمّلة الذين يستخدمهم كل يوم قبل الغروب وخصوصاً في شهر ايار المبارك فيقرأ عليهم التأمل ويتار معهم السبحة الورديّة ويباركهم بصورة العذراء وكان يدفع لهم الاجرة تماماً بل كان يسلف المحتاجين منهم بعض الدراهم وكان ينفر متن يكذب او يموّه عليهِ الحقيقة ولم يعوّد لسانهُ في جميع معاطساته الّا الصدق والصراحة مما يقرّ لهُ بذلك كلّ من عاشرهُ

امّا حبّهُ للقريب فكان جزيلاً جدّاً فانهُ لمّا كان يرى فقيراً عضّهُ الدهر بنابهِ كان يبذل لهُ المساعدة عن نفس طيبة ومحبّة خالصة . وورد عنهُ انهُ حرّض الفتاة اليصابات بنت انطون الحاج في مزرعة كفردبيان لتنضمّ الى زمرة راهبات قلبي يسوع ومريم واتّفق مع الاخ باسيل ناعم ١) وفيقهِ في خدمة الارزاق ودفع لها كلّ منهما مبلغاً تجهّزت بهِ الفتاة المذكورة ودخلت الدير . وكان اذا شاهد احداً في دقماء الفاقة أغاثهُ قدر طاقتهِ ونفّس عنهُ كربتهُ ونصح لهُ ان يصطبر على آفات الدهر ومشقاتهِ ريثما يأتيهِ الفرج من لدنهِ تعالى . وكان رحمهُ الله يقرض الفقير البائس او يستغني عن شيء من أكلهِ ليجود بهِ على الجائع . وقد لاحت فيهِ هذه المزيّة خاصّة اثناء الحرب الشعواء فانهُ تلطّف بالمحتاجين وشفقهم بغيةَ ان يسوق لهم الرزق ويزيل عنهم الضنك وكان يتعهّد المرضى منهم حاملاً ما يفتقرون اليهِ

هذا ما عدا انهُ كان قدوة الفضيلة ومرآة الكمال لتلامذة المدرسة فكان يعزّهم ويودّهم جدّاً ويثار على تقدّمهم ونجاحهم وينفق عليهم شيئاً من جيبهِ ليحثّهم

١) هو باسيل بن الياس ناعم الحلبي دخل دير الشرفة في ٩ نيسان ١٨٩١ ونذر نذور الرهبنة في ٣ تشرين الاول ١٨٩٢ وهو وكيل ارزاق الدير في بوسنا

في مواصلة دروسهم ويحبب اليهم الدعوة الكهنوتية . ولمّا شعر بان أهلهُ في حلب متحفزون لرفع الدعاوي في المحاكم للحصول على ما كسبهُ بعرق جبينهِ استأذن الرؤساء وسافر الى وطنهِ واشترى دارين جعلهما دارًا واحدة جدّدها وحبسها لاولاد باسيل ابن اخيه ويوسف حفيدهِ ولاولادهما وسجّل الوقف في محكمة حلب بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٢٧ — ١٩٠٩ . وجاء في نصّ الوقف ان الورثة اذا انقرضوا باجمعهم تغدو تلك الدار وقفاً للفقراء القاطنين في دير الشرفة وتكون التولية عليها للبطريرك

هذا قليل من كثير من مبرّات هذا العامل النشيط ومزاياهُ وخدمهِ وما برح الاخ رزق‌الله مثابرًا على الاعمال الصالحة حتى سنة ١٩١٨ فأحسّ بقرب اقبال الآخرة اليهِ وجعل يُعدّ نفسه للرحيل والمثول بين يدي خالقهِ وفاديهِ المكافئ عبيدهُ الامناء بأفضل الاجر والجزاء . وفي ١٥ ايلول لزم الفراش اسبوعاً كاملًا صابرًا على مضض الوجع وفي ٢٣ ايلول طلب سرّ المسحة وأقرّ بخطاياه وتناول الزاد الاخير . وكان اثناء ذلك يعتر قلبهُ بذكر الله تعالى ويكثر من تلاوة هذه العبارة « لمجدك يا يسوع » وظلّ على تلك الحال الى صباح ٢٥ ايلول ١٩١٨ فلفظ روحهُ مستودعاً نفسهُ ليسوع ومريم ومار يوسف . وأُقيم لهُ مأتم حافل في الشرفة حضره جملة من الخورنة والكهنة والرهبان والاهالي وأبّنهُ حضرة الخوري بولس فضول المرسل الكريمي . فهكذا قضى الاخ رزق‌الله حياتهُ في سبيل الله وعاش عيشة الابرار والزهّاد ورقد بشيخوخة مباركة في السنّ السابعة والثمانين من عمرهِ صرف منها ثلاثاً وخمسين في خدمة دير سيّدة النجاة ومضى ليُنال الأجر والمكافأة المعدّة للأكرة الصالحين والعملة الناجحين المفلحين

٧ الشمّاس يوسف نبّاه الحلبي

وُلد الشماس يوسف بن انطون بن ميخائيل بن جرجس تنّان في حلب سنة ١٨٤٢ . ولمّا بلغ السنة الرابعة والثلاثين من عمره وافى دير الشرفة وتفيّأ بظلّ سيدة النجاة الوارف وقصد الانخراط في سلك الاخوية الافرعيّة فنذر النذور الثلاثة في ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ ووشحهُ البطريرك جرجس بالثوب الرهباني ثم رسمهُ مرتّلًا وقارئاً مع رفيقهِ الاخ رزق‌الله السابق الذكر وارتقى معهُ ايضاً الى الدرجة الهفوذياقونيّة

ومذ ذاك وقف الشماس يوسف حياتهُ على عبادة الله تعالى وخدمة العذراء. وعهد اليه الرؤساء الوكالة على مأذنيات الدير كإعداد الطعام وتهيئة الكسوة وعيادة المرضى وقبول الزائرين فكان مثالهُ مثل سيدهِ يوسف بن يعقوب اذ صار وكيلاً على بيت فرعون ووزّع المؤن والذخائر على المعوزين اثناء المجاعة [تك ٤١]

وفي ٢٤ تشرين الاوّل ١٨٨٦ رقّاه السيد ثئوفيلس انطون قندلفت الى الدرجة الدياقونية باذن السيد البطريرك وعوّل السيد يوليوس باسيل قندلفت ان يرقيهُ الى الدرجة الكهنوتيّة فكتب في ذلك الى غبطة البطريرك بهنام بني في ٣ شباط ١٨٩٤ فورده الجواب بالايجاب في ١١ حزيران ١٨٩٣ نظراً لكفاءة الشماس وجدارته ومجازاة لتعبهِ وخدمتهِ . بيد انهُ رحمهُ الله أبى الّا البقاء على حالته اسوةً بابينا الجليل مسار افرام شماس كنيسة الرها متخذا ذلك وسيلة لزيادة أجرهِ وثوابهِ متخوّفاً من حمل عبء الكهنوت الباهظ فاضطرّ الرئيس ان يجيب الى طلبهِ مقرّظا تقواهُ مثنيا على فضيلته وظلّ الشماس مثابراً على عملهِ مجدّ لا يعرف الكلل . ولمّا اجتمع الاباء في الشرفة وعقدوا المجمع الملي سنة ١٨٨٨ اصطفوه ساعيا يبلّغ الأوامر ويوصل الاخبار الى اصحابها فقام الشماس بتلك المهمّة خير القيام

واتصف الشماس يوسف بالخصال الحسنة ولاسيّما الطاعة التامّة للرؤساء فكان لا يقدم ولا يُحجم الّا باذنهم ومشورتهم وامتاز بالنصح والصدق في خدمتهِ وكنت تراهُ على كثرة شغلهِ طلق المحيّا باشّاً لكلّ من يقصدهُ في مسئلة من المسائل . وكان يدمن التقرّب من الاسرار الالهيّة ويطالع في وقت الفراغ الاسفار المقدّسة والكتب الروحيّة ويتار صلواته الخصوصيّة في أوقاتها وكان مغرما بحبّ القربان الاقدس فكان يقضي الساعات الطوال امامهُ ويناجيهِ مناجاة الصديق لصديقهِ ويكشف لهُ سرائر قلبهِ

امّا عبادتهُ لسيّدة النجاة صاحبة المقام فكانت عجيبة فانهُ في شتاء سنة ١٩١٣ لمّا امتحنهُ الله بعقلة في لسانهِ قصد تلك الامّ الرؤوم الشفوق واستعان بها وصلّى تساعيّتها المعروفة بتساعية پيانى وما كاد يأتي عليها كلّها الّا وانطلق لسانهُ فترنّم بمديح امّ الرحمة ونشر محاسنها واذاعها بين الناس وقصّ على سكان الدير فضلها ومنّها عليهِ بالشفاء . وكان كافا بحبّ ورديتها وثوبها ولذلك فقد اشترك في جميع اخرياتها وحثّ الناس على التعبّد لها

وخصّ الشمّاس يوسف بالذكاء والنباهة فاجتذب اليه قلوب المجاورين للدير فصاروا يختلفون اليه ذات المرار ويستشيرونه في امورهم فكان يريهم الطريق السويّ ويبلّغهم غايتهم وما برحوا حتّى اليوم يلهجون بفضله ويثنون على حبه لهم وتفانيه في صلاحهم . وكان الشمّاس يزاول كتب الطبّ فاستحصل منها شيئاً وطفق يشتري بعض الادوية والمراهم ويتبرّع بها على من يقصده من المرضى والسقام دون عوض قاصداً في ذلك وجه الله الكريم . وناهيك انه كان للتلامذة بمثابة امّ شفوق تحنّ الى اولادها وتفيشهم في ضنكهم وبؤسهم وتسرّي عنهم جميع همومهم وكان اذا دعاك احدهم تعهّده من فوره ووصف له دواء ملائماً لمرضه حتى انه لم يمت احد منهم في ايامه باذن الله تعالى

وأضف الى ذلك ان الشمّاس يوسف بخدمته بيت المؤنة مدّة ستّ وثلاثين سنة لم يثلم الامانة ابداً بل كان حفيظاً بما استودع اليه مؤثراً الاقتصاد على الاسراف معتبراً دقائق الامور كجليلها وصغيرها ككبيرها وكان يقول مراراً شتّى : ما دمت وكيلاً يلزمني ان اقوم بفروض وكالتي والّا فالأولى ان استعفي . واتصف الشمّاس بعذوبة حديثه ولطيف معاشرته ولاسيّما بتسليته المصابين بالمرض . ومما نُقل عنه ان السيد اقليميس يوسف داود يوم حضر الى الشرفة سنة ١٨٨٩ استجاساً لقواه المستضعفة وتبديلاً للهواء ألفى في الشمّاس يوسف احسن مسلٍّ واكبر معزٍّ له في كربته فكان يستدعيه اليه وهو على فراش المرض ويصغو الى حديثه بكل لذة فينسى آلامه

وفي ٢٠ نيسان ١٩١٠ كتب الشمّاس يوسف وصيّته الاخيرة وجاد بما كان يملكه على الدير الذي خدمه خدمة نصوحاً . ومما جاء في تلك الوصيّة استغفاره من سكّان الدير أجمع والتماسه من غبطة السيد البطريرك ان يبلّغ الامر الى رئيس المدرسة والتلامذة ليصلّوا عليه طقس الثمامة الدياقونيّين يوم وقاده واليوم الثالث والسابع والشهر واسبوع الكهنة وعيد سميّه مار يوسف وان يقدّس عن نفسه كلّ سنة قدّاس موبد في الاسبوع الذي يقع فيه عيد مار يوسف . فأيّد السيد البطريرك وصيّته هذه وشهد فيها السادة اقليميس ميخائيل بخاش وغريغوريوس بطرس هبرا ويوليوس باسيل قندافت

. وواصل الشمّاس خدمته حتى استكمل ايامه . وعام ١٩١٣ ازداد ضعف بنيته واضطرّ ان يعتزل مهنته ويستريح من تعبه فاقام الخوري افرام حيقاري رئيس المدرسة الاخ باسيل ناعم مقامهُ وتفرّغ الشمّاس مذ ذلك للتأهب الى الرحيل من الدنيا الفانية الى الحياة الباقية . وفي ١٦ كانون الاوّل ١٩١٥ فلج فلزم الفراش مسلّماً امره الى الله ربّه ولم يتعد به المرض من مواصلة اعماله الروحيّة وتقرّبه من الاسرار الالهيّة . واشتدّت عليه وطأة الفالج ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٥ فطلب سرّ المسحة واعترف وتناول . واقام الاب الرئيس الشاب منصور سلهب ليخدمه ويقوم باوازمه وحاجاته . فكان يقرأ عليه فصولاً من الكتاب المقدّس او من احد الكتب الروحيّة مثل كتاب الاستعداد للموت وما شاكلهُ . وكان الشمّاس يصغي اليه بكلّ عذوبة وشوق ويستزيده القراءة راغباً اليه ان لا يحرمهُ لذّة سماع كلام الله معتبراً ان تلك القراءة تحيي قلبه وتنعش ايمانه ورجاءه وتثير فيه لواعج الوجد والارتياح الى مشاهدة فاديه وتصبّره على مكاره الدنيا وخطوبها حبّاً له

ولزم الشمّاس فراش المرض عشرة اشهر محتملاً مضض الالم موجهاً الحاظه الى الاله الذي تعذّب لاجل فدائنا متوسّلاً اليه ان يجعل اوجاعهُ كفّارةً عن خطاياهُ . وفي تشرين الاوّل ١٩١٦ انحطّت قوّته فأيقن بدنوّ الاجل فزاد في الصلوات والابتهالات استرضاء لله جلّ شأنهُ وكان يستشفع مريم امّه والقدّيس يوسف سيّده ليساعداهُ وقت نزعه ويدفعا عنه هجمات خصمه . ولبث كذلك حتى ١٣ تشرين الاوّل ١٩١٦ فرقد رقاد الابرار مزوّدًا بالاسرار وله من العمر اربع وسبعون سنة . وصباح الغد ترأس الصلاة عن نفسه السيّد اوسطاثيوس موسى سركيس الذي وافى راجلاً من جونيه الى المدرسة على ما كان عليه من التقدّم في السنّ وانحراف الصحّة اظهاراً لجزيل حبّه للفقيد واشترك معه في الصلاة رؤساء الأديار المجاورة والكهنة والرهبان والوجهاء والعوام وأبّنه القسّ جبرائيل نجّاش احد معلّمي المدرسة

فهكذا قضى الشمّاس يوسف حياته مؤدّيا الأمانة لدير السيّدة العذراء ومُخلصاً الطاعة للرؤساء ومثلاً للتلامذة ولجميع من عرفه أجمل تذكار فنال من الثناء أعذبه ومن الشكر أطيبه . اي ولعمري ذهب الاكّار الصالح ولم تذهب آثاره . وغابت صورته ولم تغب محاسنه امتع الله روحه في جنّاته وأجزل له الأجر على حسناته

شذرات تاريخية من صحائف منسية

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

وصف جناب المحامي الاديب جرجي بك صفا في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٤٤٢-٤٤٥) بين مخطوطات مكتبته تاريخاً قديماً يرتقي عهدهُ الى زمن مؤلفهِ في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح او اوائل الرابع عشر والمرجح انهُ من خطهِ وعليهِ كتابةٌ تشهد على انَّ الملك الظاهر بيبرس ابن ايبك طالع فيهِ. وقد نشر جناب البك بعض قطع منهُ . على انَّ هذا الكتاب كثير الفوائد التاريخيَّة التي لم نجد بعضها في غيرهِ فأحببنا ان نقتطف منهُ ما رأيناهُ جديراً بالاعتبار مما ورد هناك بين سنتي الاولى ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) والآخرة ٦٩٨ هـ ١٢٩٩ م). والكتاب اليوم في يد الوجيه الفاضل احمد باشا تيمور نشير الى صفحاتهِ بالارقام الفرنجيَّة . . . حكي

السنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م (٤١) قال: في غرَّة المحرَّم جلس محيي الدين ابو عبدالله بن فضلان في ديوان الوالي واستوفى الجزية من اهل الذمَّة فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيتهُ ويُكتب لهُ رَوْز وهو صاغر . فلقوا من ذلك شدَّة وكان ابو علي بن المسيحي رئيس الطب لهُ اختصاص ودخول الى دار الخليفة فأظهر المرض واعتذر وسأل ان تؤخذ جزيتهُ من يد ولدهِ فلم يُقبَل منهُ فحضر وادَّاها . ومضى ابن الشريح رأس مشيخة اليهود الى دارهِ ليلاً وسألهُ ان يأخذ الجزية منهُ فلم يلتفت اليهِ وقال (٤٢) لهُ: لا بُدَّ ان تحضر نهاراً الى الديوان وتؤديها . وشدَّد في ذلك ولم يسامح احداً

السنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م (٤٣) وفيها توفي ابو عبدالله محمَّد بن يحيى بن فضلان . حُكيَ عنهُ ١) انَّهُ كتب الى الخليفة الناصر لدين الله لمَّا كان يتولَّى ديوان الموالي وقعةً طويلة يقول فيها : « مذهب الشافعي رضي الله عنهُ يقضي انَّ المأخوذ من اهل الذمَّة اعني اليهود والنصارى في كل سنة أُجرةٌ عن سكناهم في دار السلم والارتفاق بمرافقها لا يتقدَّر في الشرع بمقدار مُعيَّن في طرف الزيادة ويتقدَّر

١) تروى هذا بحرفهِ ليرى القرَّاء كيف كان يُعامَل الذميُّون وما أُفتي فيهم ابن فضلان مع ما يُشتمّ من كلامهِ من التعصُّب. على انَّ وصفهُ لاحوال النصارى يفيد كثيراً لمعرفة ترقّيهم وتنوّرهم مع ما كان يصيبهم من سوء المعاملة

في طرف النقصان بدينار فلا يؤخذ من احد منهم على الاطلاق اقل من دينار . ويجوز ان يؤخذ ما يزيد على الدينار الى المائة حسب امتداد اليد عليهم مهما أمكن . فان رأى أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يؤخذ منه فللآراء الشريفة عاوّدها في ذلك . وهذا لا يبقى عليهم لا في أحوالهم ولا في ذات ايديهم لان الغالب على الجميع التخفيف في القدر المأخوذ منهم وهم ضروب واقسام منهم من هو في خدمات الديوان وله المعيشة السنية (٢٤) غير تركة يده الممتدة الى اموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل . ولعل الواحد منهم ينفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة هذا مع ما لهم من الحرمة الزائدة والجاه القاطع والترقي على رقاب خواص المسلمين . وقد شاهد العبد (١) وغيره من الفقهاء الحاضرين بالمخزن لتناول البر المتقبل ان ابن حاجب قيصر (٢ اقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به واقعد مكانه ابن زطينا كاتب المخزن لمكان خدمته . وقد رُوي عن علي عليه السلام انه قال : « أمرنا ان لا نساويهم في المجلس ولا نشيع جنازتهم ولا نعود مرضاهم ولا نبدأهم بسلام » . وقد كان ابن مهدي استفتى العبد (١ وغيره في تولية ابن ساوي النظر بواسط فقال له العبد : لا يجوز ذلك . وذكر له قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابي موسى الاشعري وذلك انه عرض عليه حسبة عمل من الاعمال فاعجبته فقال : من كاتبُ هذه؟ . وكان عمر جالساً في المسجد . فقال له ابو موسى : رجل بباب المسجد . فقال عمر : ما باله لا يدخل المسجد أجُنُبٌ هو ؟ قال : انما هو نصراني . فغضب عمر وقال : « أتقرّبونهم وقد أبعدهم الله وتأتمنونهم وقد خوّنهم الله وترفعونهم وقد وضعهم الله لا يعمل لي هذا عملاً في بلد من بلاد الاسلام »

« ثم ليس لهم في بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم في مدينة السلام فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربح الكثير

« ومنهم اصحاب المكاسب الجزيلة بتردّدهم الى منازل الاعيان وارباب الاحوال ودخولهم على المتوجهين في الدولة والناس ويتحفّون فيما يعطون الطبيب زائداً

١) يريد ابن فضلان بالعبد نفسهُ

٢) كان من عمّال النصارى كابن زطينا وابن ساوي الوارد ذكرها

(٣٤) على القدر المستحقّ وهو امر من قِبَل المروآت فلا يتمكّنون عن الخلع السنية والدنانير الكثيرة والطُّرَف في المواسم والفصول . مما يخطئون في المعالجات ويُفسدون الامزجة والابدان . ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشرة مسائل من مسائل حُنَين وخمس قوائم من تذكرة الكحّالين وقد تقمّص وليس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الاسواق والشوارع على دكّة حتى يُعرَف وبين يديه المكنّة والملحدان (١ يؤذي هذا في بدنه ويجرّب على ذا في عينه فينتك من اول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكنّته مملوءة قراضة . فاذا عُرف بقعوده على الدكّة وصار له الزّبون قام يدور ويدخل الدور

* ومنهم أربابُ المعايش من العطارين والمخلطين والكسّارين اصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة باموال التجار المسلمين واخذهم من الحُجر بالمدّة وما يقفوا (يقفّون) في ميزان الذهب وميزان الارطال وما يغشّون في الحوانيج ويدغلون

* ومنهم اصحاب الحرف والصناعات من الدباغة وغيرهم وما يتقلّبون فيه من الذهب والفضة ويسرقون الذهب ويجعلون عوضهُ المسّ (٢ ويعدلونهُ ويسرقون الفضّة ويجعلون عوض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالهانارةً قارًا وغير ذلك

* ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقبيض . ومنهم الصيارف واحتجاجهم ببضاعة دار الضرب مع ما لهم من التبسُّط في السُّلطان واولاد المسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل اغراضهم في الفساد ورفاهية العيش والتلذّذ في المآكل والمشارب . ثم ما زالوا على اختلاف الزمان يؤخذون بالصَّغار ولبس النيار (٣٤) الذي اوجبهُ الشرع عليهم (٣

* وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الامصار ان يحملوا اهل الذمّة على جزّ نواصيهم وان يختموا اعناقهم بخواتيم من رصاص او حديد وان يركبوا على الأكف عَرْضاً وان يشدّوا الزنانير على اوساطهم ليتميّزوا بذلك عن المسلمين . وعلى ذلك جرى الامر في زمن الخلفاء الراشدين : وآخر من شدد عليهم المقتدي بامر الله

---

١) المكنّة كيس يُجمع فيه اجرة العمل اذ الملحدان فاعلهُ يريد بهما مساعديه
٢) المسّ هو النحاس ٣) النيار لبس اهل الذمّة

المستنصر . . . وكان يتردد الى دار الوزير يشغل ولده عز الدين في الادب وصنف كتاب مجمع البحرين في اللغة : وكتاب العباب الزاخر ودر اللباب الفاخر فانتهى منه الى فصل الباء في باب الميم وكتب بخطه « بكم » ولم يتمه وتوفي فجأة

﴿ السنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣م ﴾ وفيها اعطى رجل سائلا في بعض اسواق بغداد دينارا فقال السائل : اني اعرف هذا الدينار وانه فقد مني في جملة دنانير . فسأله الرجل عن علامة ما فقد منه فذكرها فقال : اني وجدت هذا منذ سنة وما زال عندي الى الآن ولم اجد احدا يذكره فاخرجته لأتصدق به عن صاحبه وهذا اول دينار اخرجت . ثم سلم الذهب الى السائل فاغناه عن السؤال . وقد ذكر ابن الحافظ النجار في تاريخه : ان رجلا ضاع منه دملج ذهب وزنه خمسون دينارا ومضى عليه دهر طويل وافتقر الرجل وصار يبيع الزجاج في سلة على راسه فعثر يوما فسقط الزجاج وتكسر فبكى واجتمع الناس عليه فقال : والله لقد ضاع مني مرة دملج ذهب وزنه خمسون مثقالا فلم احزن عليه كحزني لهذه السلة . فقال له رجل ممن اجتمع عليه : انا وجدته ولكني اخرجته . واعطاه خمسين مثقالا ذهبا

﴿ السنة ٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ ﴾ (99) في هذه السنة جرت بين اصحاب الشيخ عدي بن مسافر واصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة كان سببها ان بدر الدين كان كثير التثقيل على اولاد الشيخ عدي ويكلفهم مالا على وجه المساعدة . فأطاعوا السنتهم فيه فارسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلهم قتالا شديدا فانهزمت الاكراد البدوية وقتل منهم جماعة كثيرة واسروا منهم جماعة فضرب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وامر بتقطيع اعضاء اميرهم وتعليقها على ابواب الموصل وارسل من نبش الشيخ عديا من ضريحه واحرق عظامه

﴿ السنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م ﴾ (108) وفيها توفي ابو الفضل بن ابي الخير ابن المسيحي الجاثليق ببغداد وولي بعده مكيخا النصيبي وكان اديبا فاضلا

﴿ السنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م ﴾ (119) وهي سنة دخول المغول الى بغداد . قال : وضع السيف في اهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بانواع العذاب واستخراج الاموال بأليم العقاب مدة اربعين يوما فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلم يبق من اهل البلد ومن التجى

اليهم من اهل السواد الاّ القليل ما عدا النصارى فانّهم عُيّن لهم شحانيّ حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلقٌ كثير من المسلمين فسلموا عندهم ... وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاورهُ واستولى الخراب على البلد وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلال ....

(119) عزّ الدين ابن ابي الحديد كاتب السلّه (السكّة ؟) لم تطل ايّامهُ وتوفّي فرُتّب عوضهُ ابن الحنّال النصرانيّ

(120) وفيها تُقدّم للجاثليق (مكيخا) بسكنى دار علاء الدين الطبري الدويدار الكبير التي على شاطئ دجلة فسكنها ودقّ الناقوس على اعلاها واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة وعلى الرباط البشيري المجاور لها وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني

﴿ السنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م ﴾ (121) انفذ الملك الظاهر سنجر مملوك ابيهِ وعيّن لهُ جماعة من العسكر فسار بهم الى الموصل ... فلمّا بلغها مُنع عن دخولها ايّاماً فوثب محيي الدين ابن دبلاو (كذا؟) في طائفة من العوام وفتحوا لهُ باب الجسر فدخل منهُ ووضع السيف في النصارى فقتل اكثرهم ونهب اموالهم . وبلغهُ انّ عسكر المغول واصل اليهِ فخرج ومعهُ الف فارس وسار نحو نصيبين فالتقى بهِ عسكر المغول فقتلوهُ وقتلوا اكثر من معهُ . فلمّا بلغ السلطان هولاكوقان ذلك سيّر الامير سنداغوا الى الموصل

﴿ السنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦١ م ﴾ (122) نزل سنداغوا على الموصل وحصرها ... حتّى فتحها ..... ولما فرغ سنداغوا من فتح الموصل سار الى جزيرة ابن عمر ففتحها بأمان وقتل حاكمها واستعمل عليها رجلاً نصرانيّاً اسمهُ مَرْحنيا ثمّ عاد الى السلطان

﴿ السنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م ﴾ (123) فيها عُين رضي الدين المعروف بالبابا والياً بالموصل فدخلها وقبض الزكيّ الاربلي الذي كان واليها وطالبهُ بالبقايا التي ساقها الحساب عليهِ واستوفى منهُ معظمها ثمّ قتلهُ

(124) وفيها قبض مَرْمكيخا الجاثليق على نصرانيّ من اهل بغداد قد أسلم فاعتقلهُ بدارهِ المعروفة بالدويدار الكبير على شاطئ دجلة وعزم على تغريقهِ .

فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا على سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال النصارى وحصروا الجاثليق واحرقوا باب داره (126²) وقاتلوا اصحابه. فنزل في سفينة وقصد دار صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فامر الكلحية بكف العوام وركب سوكال بجيش شحنة بغداد واخذ نفرًا من العوام وقتل منهم وحبس جماعة فسكنت الفتنة. ثم ان الجاثليق توجه الى الاردو الاشرف وعاد على اربل وبنى بقلعتها بيعة ثم قدم بغداد واقام بها الى ان مات (سنة ٦٨٣هـ=١٢٨٤م) ورتب في منصبه مار دنحا الاربلي

﴿السنة ٦٦٤هـ=١٢٦٥م﴾ (126²) فيها سار الملك الظاهر المعروف بالبندقدار الى بلاد الارمن واوقع باهلها ونهبهم واستباح اموالهم واكثر القتل والاسر فيهم خصوصاً اهل سيس واسر ابناً ليون (1 صغيرا وكان سبب ذلك ان ليون راسل البندقدار الملك مصر وهادنه على خراج مقرر يحمله اليه فحطه به هذه السنة. فلما عاد البندقدار اجتاز بانطاكية وحصرها وفتحها عنوة وقتل اهلها ونهب اموالهم وعاد الى بلاده. فارسل ليون الى البندقدار يسأله فداء ابنه فاجابه الى ذلك وقال: ان لنا اسيرًا بيد المغول يُعرف بسنقر الاشقر خلصه وأرسله الينا لنطلق ابنك. فسار الى عبودية السلطان اياقا وانهى ذلك اليه وسأله اطلاق سنقر فامر بتسليمه اليه فسيّره الى البندقدار فاطلق ابنه. ثم ان ليون ارسل ابناً له كبيرًا الى السلطان اياقا وذكر انه عجز عن الحركة وسأله ان يملك ابنه المذكور. فاجاب سؤاله واعاده اليه فاستقل بملك ابيه

﴿السنة ٦٦٥هـ=١٢٦٦م﴾ (127¹ — 127³) امر الصاحب علاء الدين صاحب الديوان بقتل ابن الحشكري النعماني الشاعر وسبب ذلك انه بلغه عنه انه يقول اشياء تاني الشرع ويفضل شعره على القرآن المجيد ويقدم على ما لا يجوز ذكره. فعظم ذلك عليه. واتفق انحداره الى واسط فلما وصل النعمانية حضر ابن الحشكري عنده وانشده قصيدة يمدحه فيها فأذن الاذن فنصت الصاحب اليه فقال ابن الحشكري: يا مولانا اسمع شيئاً جديداً واعرض عن شيء له سنين. فثبت حينئذٍ عنده ما قيل

---

1) هكذا ورد هذا الاسم يريد « ليون » بن هيثوم ملك الارمن

عنهُ ..... فلمَّا ركب من الغد امر ابن سليط الاسدي ان ينفرد بهِ ويقتلهُ ... فقتلهُ واخذ فرسهُ وثيابهُ . (١٢٧) وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانيَّة . كان شيخاً صالحاً ورعاً زاهداً. حكى عن نفسهِ قال: كنت بمصر واتَّصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة (اي واقعة المغول) من القتل والنهب والفتك والاسر فأنكرتهُ بقلبي وقلت: يا ربِّ كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب لهُ ؟ فرأيت تلك الليلة في المنام رجلاً في يده كتاب فاخذتهُ منهُ فاذا فيهِ:

دع الاعتراض فما الامر لكْ ولا الحكمُ في حركات الفلكْ
ولا تسأل الله عن فعلهِ فمن خاض لجَّة بحرٍ هلكْ

فاستغفرتُ الله تعالى وامسكتُ

﴿ السنة ٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م ﴾ (١٢٧) وفيها وُلِّي على الموصل رجل نصرانيّ اسمهُ مسعود وهو من قرى اربل اسمها برقوطا وعزل عنها البابا ورتَّب معهُ شحنة من المغول اسمهُ اشموط

﴿ السنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م ﴾ (١٣٢) ذكروا لعلاء الدين صاحب الديوان انَّ بها (اي تستر) رجلاً يدَّعي النبوَّة وقد اتَّفق معهُ جماعة وقد نقَّص لهم من الفروض (١٣٢) صلاة العصر وعشاء الآخر . فامر باحضارهِ وسألهُ عن هذه الحال فرآه ذكيًّا عارفاً ببعض العلوم فامر بقتلهِ فقُتل وسُلِّم الى العوام واخذ اكثر من كان قد اتَّبعهُ . وهذا كان صبيًّا من ابناء التجار اسمهُ كيّ اشتغل بحفظ القرآن والفقه والاشارات والنجوم وكان ينظم شعرًا بالفارسيَّة فادَّعى انهُ عيسى بن مريم وقال: «ان بلغتُ من العمر ثلاثاً وثلثين سنة تمَّ امري» ونظم شعرًا يتضمَّن ذلك فقُتل ولم يبلغ ما ذكرهُ من العمر

﴿ السنة ٦٧٥ هـ = ١٢٧٦ ﴾ (١٣٧) في هذه السنة سار الملك الظاهر البندقدار بعساكرهِ الى بلاد الروم وغرضهُ قتل البروانه (حاجب التتر) فلمَّا عرف بسيرهِ تحصَّن ببعض القلاع التي على ساحل البحر وخرج المغول الى لقاء البندقدار .. وقاتلوهُ فاستظهر عليهم ... ولمَّا عزم على العود (من قيساريَّة) نهب النصارى واخذ اموالهم وسبى ذراريهم ولم يقتل منهم احداً ثمَّ رحل عائداً الى بلادهِ واستصحب امَّ البروانه واولادهُ وحرمهُ .... (١٣٧) .. سنة ٦٧٦ (فيها روايات عن موتهِ مشؤومًا)

﴿ السنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م ﴾ (١٣٩) وفيها أنهى مسعود البرقوطي والي الموصل واشموط الشحنة بها الى السلطان اباقا خان انهما ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل فامر بتحقيق ذلك. فلما عملوا حسابهما اثبتوا انّ البابا كان على الباطل مما اعتمده معهما وامر بقتله فقتل وولّاهما الموصل واربل فعادا برأسه وطافا به وعلّق على باب الجسر

﴿ السنة ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م ﴾ (١٥٠ — ١٥١) روى فيها خبر الشيخ عبد الرحمان النصّاب وتأثيره في إسلام السلطان احمد خلف اباقا سلطان المغول (سنة ٦٨٢) ثم حرب السلطان احمد والسلطان ارغون وقتل احمد سنة (٦٨٣ هـ ١٥٢)

وفي السنة ٦٨٢ توفي عماد الدين زكريّا بن محمود القزويني قاضي واسط بها وحُمل الى بغداد ودُفن في الشونيزي وكان عالماً فاضلا صنّف كتاباً سمّاه عجائب المخلوقات وكان يكتب خطّاً جيدا تولى القضاء بالحلّة في سنة خمسين (وستمائة) ثم نُقل الى القضاء بواسط سنة ٦٥٢ واضيف اليه التدريس بمدرسة الشرابي فلم يزل على ذلك الى ان مات وكان حسن السيرة عفيفاً

﴿ السنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م ﴾ (١٥٣) وفيها اشتهر ببغداد عزّ الدولة ابن كمونة اليهودي صنّف كتاباً سمّاه الابحاث عن الملل الثلاث تعرّض فيه بذكر النبوات وقال ما نعوذ الله من ذكره. فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله فركب الامير تمسكاي شحنة العراق ومجد الدين ابن الاثير وجماعة الحكام الى المدرسة المستنصريّة واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال. وطلبوا ابن كمونة فاختفى. واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعهُ العوام فعاد الى المستنصريّة فخرج ابن الاثير ليسكّن العوام فأسمعوهُ اقبح الكلام ونسبوهُ الى التعصّب لابن كمونة والذبّ عنهُ. فامر الشحنة بالنداء في بغداد بالباكرة في غد الى ظاهر السور لاحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدّد بعد ذلك لهُ ذكر. واما ابن كمونة فانهُ وُضع في صندوق مجلد وحُمل الى الحلّة وكان ولدهُ كاتباً فاقام اياماً وتوفي هناك

﴿ السنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م ﴾ (١٥٤) وفيها اغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا ونهبوا وسبوا واخذوا اموال التجار من قيسارية الموصل وقتلوا كثيراً من النصارى في اربل. ونهب الاكراد بلد البرازيج وباصيدى

وقتلوا جماعة من (156) النصارى ونهبوا الاموال

﴿ السنة ٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م ﴾ وفيها توفيّ صفي الدولة سليمن بن الحمل النصرانيّ كاتب السلة (السكة) ببغداد

﴿السنة ٦٩٠هـ=١٢٩١م﴾(161)روى فيها مصادرة اليهود وقتلهم ونهبهم في بغداد وفي كل بلاد العراق . . وذكر من اعيانهم سعد الدولة وفخر الدولة الاخوين. ثم امين الدولة اخاهما الحاكم على الموصل

(163 — 166) وفيها فتح الملك الاشرف صاحب مصر والشام لمدينة عكّة . . . قاتل من بها اربعين يوماً (برّاً وبحراً) حتّى فتحها عنوةً وقتل في اهلها قتلاً عظيماً وسبى ذراريهم ونهب اموالهم ثمّ امر بهدمها فهُدمت حتّى عفّى آثارها والحقها بالارض ثمّ عاد الى دمشق فاقام بها شهرًا . . . (قصيدة لبعضهم في نحو ٥٠ بيتاً اوّلها :

الحمد لله ذلّت دولة الصُّلُبِ وعزّ بالترك دين المصطفى العربي)

ثمّ ان الاشرف سيّر قائدًا يُعرف بالشجاعي في عشرين الف فارس الى صيداء وصور فنازل صيداء وفتحها وقتل من بها واخربها . ثمّ رحل الى صور فتلقّاهُ اهلها بالطاعة فدخلها واغلق ابوابها ووضع السيف فيهم وقتل الرجال وسبى الذراري واخربها وعاد الى الاشرف وهو بدمشق ولم يبقَ للفرنج في ساحل البحر حجر على حجر ثمّ عاد الاشرف الى مصر

﴿ السنة ٦٩٣ هـ = ١٢٩٤ م ﴾ (167) وفيها توفي شمس الدولة ابن مخلد النصرانيّ كاتب السلة (السكة) ببغداد . وفيها في الوباء ايضاً مات ابو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيفات وكان حاذقاً في علم الطب محمود العلاج وكأن الشاعر عناهُ بقوله :

كأنهُ من لطف افكارهِ يجول بين الدمّ واللحمِ
ان غضبت روح على جسمها ألفّ بين الروح والجسمِ

﴿السنة ٦٩٤ هـ = ١٢٩٥ م ﴾ (168) جلس السلطان غازان (ويروى غازان) على التخت في ذي الحجّة ودخل تبريز وصلّى في جامعها وامر بالزام اهل الذمّة الغيار فكانت علامة النصارى شدّ الزنّار في اوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم

فداموا على ذلك شهوراً ثمَّ أُزيل بمجرَّد تسلُّط العوامّ عليهم وطمع الجهَّال فيهم . وتقدم السلطان باخذ دار علاء الدين الطبرسي (sic) الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بايديهم من حيث مُلكت ببغداد وأُزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانيَّة واستُعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك وكان قد جعلهُ النصارى مدفناً لاكابرهم فأُزيلت القبور منهُ وصار محلًّا للوعظ

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل التاسع

التعاليم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة

اثبتنا في مقدَّمة ابحاثنا عن النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة انَّ العرب كانوا مشركين كبقيَّة الامم ما خلا الشعب الاسرائيليّ وانَّهم عبدوا الاصنام قبل التاريخ المسيحي وفي القرون الاولى بعدهُ وان اختلف شركهم بعض الاختلاف في جنوب جزيرتهم وشمالها وغربها

امَّا الآثار المتأخرة الباقية من القرن السادس واوائل السابع المسيح فعلى خلاف ذلك فانَّها الى التوحيد اقربُ منها الى الشرك بل لا تكاد تجد في الشعر الجاهليّ المجموع في ذلك العهد اثرًا للشرك اللهمَّ الَّا بقايا قليلة لا يُعبأ بها

وعندنا انَّ هذا الانقلاب انَّما كان سببهُ شيوع النصرانيَّة في ظهراني العرب كما بيَّنَّا ذلك بالشواهد المتعدِّدة في القسم الاوَّل من كتابنا . واذا تقصَّينا البحث في ما

خلّفوه من الآثار وجدنا فيها من المبادئ الفلسفيّة والتعاليم اللاهوتيّة ما هو دليل لامع على قولنا

الفلسفة النصرانية في عرب الجاهلية

ليس احدٌ من قرّائنا ينتظر منّا ان نعدّد لهُ ما وضعهُ نصارى العرب في الجاهليّة من التآليف الفلسفيّة فانّ اهل الجزيرة قبل الاسلام وبعدهُ لم يشتهروا مطلقاً في النظريّات اذ كان همّهم الاعظم ان يعيشوا في مواطنهم عيشةً فطريّة لا يزعجها ضنك الفكر ولا يخالطها التعمّق في غوامض الكون . وان قيل لنا ألا تحصي بين كبار فلاسفة العرب الرئيس ابن سينا والفارابيّ وابن رشد اجبنا انّهم اعاجم ليسوا عرباً . وان وُجد بينهم افراد احرزوا لهم ذكرًا في ذلك كالكندي فانّهُ من باب الشذوذ

لكنّ الفلسفة لا تظهر فقط في المؤلّفات النظريّة بل ربّما ظهرت في مطاوي الكلام نثرهِ ونظمهِ حيث تلوح المبادئ التي يجري المرء بموجبها ويرتشد بنورها وذلك خصوصاً في فروعها الثلثة اعني بها علم الاله ثمّ علم النفس ثمّ علم الآداب والحقوق وكل ذلك متوفر في آثار الجاهليّة كما سترى

﴿ ١ علم الاله الحقّ ﴾ يُثبت الفيلسوف بالبراهين العقليّة وجود الله ووحدانيّتهُ وخلقهُ للعالم وصفاتهِ الحسنى من قداسة وحكمة وعلم وقدرة وعدل وعناية بالمخلوقات وهذا كلّهُ تجدهُ في شعراء الجاهليّة الذين روينا اقوالهم في القسم الثاني (ص١٥٨ — ١٦٢) كقول زيد بن عمرو :

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا ... وقولاً رضيناً لا بني الدهرِ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقهُ ... إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمّ ربّاً فلن أرى ... ادينُ الهاً غيرك الله ثانيا

وكقول قس بن ساعدة خطيب العرب :

الحمدُ لله الذي ... لم يخلقِ الخلقَ عبثْ

وكقول ورقة بن نوفل :

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرى ... ادينُ لمن لا يسمع الدهرَ واعيا
اقول إذا صلّيتُ في كل بيعةٍ ... تباركتَ قد اكثرتُ باسمك داعيا

وكقول عبد القيس بن الخفاف (المفضليات ص ٢٥٠ ed . Lyall):

اللهَ فاتقوا وأوفوا نذرهم واذا حلفتم ماريًا فتحللوا

وكقول طرفة (شعراء النصرانيّة ٣١٩):

لتُنقَبَنْ منّي الميه انّ م الله ليس لحكمه حكمُ

وكقول سويد بن ابي كاهل :

انّما يرفع اللهُ ومن شاء وضَعْ

وكقول حاتم الطائي :

كلوا اليوم رزق الإلهِ وأيسروا فانّ على الرحمن رزقكم غدا

واقوال كثيرة لاميّة بن ابي الصلت ولا سيّما داليّته العجيبة التي اوّلها :

لك الحمدُ والنعماء والفضلُ ربّنا فلا شيء اعلى منك مجدا وامجدُ

وفيها يقول :

هو الله باري الخلق والخلقُ كلهُ إماؤه لهُ طوعًا جميعًا واعبدُ

أُعجب بها نبيُّ الاسلام فقال لما سمعها من الشريد بن سويد : لقد كاد اميّة ان يُسلم بشعره (اطلب حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٩٥)

فهذه واقوال غيرها كثيرة تثبت انّ العرب في الجاهليّة عرفوا الاله الحقيقي ولا شكّ بانّ هذه المعرفة اتتهم من مبشّرين نصارى سبق لنا ذكرهم في تاريخ النصرانيّة بين العرب (القسم الاوّل)

§ ٢ علم النفس كان لقدماء العرب قبل ان يستنيروا بنور الانجيل اراء باطلة في النفس واصلها ومصيرها فيهيمون بتراءيهم في كل وادٍ . فلمّا هداهم الله الى الحقّ عدلوا الى ما هو اقرب الى الصواب فأقرّوا بخلود النفس وحرّضوا على تُقى الله وممارسة الاعمال الصالحة واشاروا الى ما ينتظر النفسَ من الحساب يوم الدين فتجازى عن اعمالها ثواباً او عقاباً . وهذا كلّهُ مجمل ما يُستفاد من التعاليم الفلسفيّة . فدونك بعض الشواهد على قولنا . اوردنا في شعر عديّ بن زيد (ص ٢٥١) ما قال في تصوير الله للانسان ونفخهِ فيهِ من روحهِ . ولطرفة قولهُ في عقل الانسان (شعراء النصرانيّة ص٣١٧) وما خصّ بهِ من الادراك :

لفتى عقلٌ يعيشُ بهِ حيث تهدي ساقهُ قدمُهُ

وقد ميّزوا بين الروح الخالدة والجسد الفاني كقول ذي الرمة مستغيثاً :

يا نازعَ الروحِ من جسمي اذا قُبضَتْ وفارج الكربِ أنتقذني من النارِ

واشاروا الى وقوف النفس امام الديّان وادائها الحساب عن اعمالها والى جزائها خيراً او شراً على موجب سلوكها . قال الحارث بن عبّاد (شعراء النصرانيّة ٣٧٠) :

كلُّ شيءٍ مصيرُهُ للزوالِ غيرَ ربي وصالحِ الاعمالِ

وقال مرّة بن ذُهل في مراقبة الله لاعمال البشر (فيه ص ٢٤٨) :

اللهُ للأقوامِ بالمرصادِ

وقال طرفة (فيه ٣١٧) :

وكيف يرجّي المرءُ دهراً مخلّداً واعمالهُ عمّا قليلٍ تغالبُهْ

وقال اميّة بن ابي الصلت (القسم الاوّل ص ١٦٨) :

يوقف الناس للحساب جميعاً فشقيٌّ معذّبٌ وسعيدُ

وقال عديّ بن زيد :

أعاذِلَ من تُكتَبْ لهُ النارُ يلتَمِها كفاحاً ومَنْ يُكتَبْ لهُ الفوزُ يسعَدِ

ومثلهُ لزهير في معلقته :

فلا تكتُمُنّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يعلَمِ
يؤخّر فيوضع في كتابٍ فيُدّخرْ ليوم الحساب او يعجّل فينقَمِ

وللبيد ايضاً :

وكلّ امرئٍ يوماً سيُعلَمُ سعيهُ اذا كُشفَتْ عند الالهِ المحاصلُ

وكأنّ حاتماً الطائي (شعراء النصرانيّة ١٢١) نظم آية الكتاب «من يُعطِ الفقير يقرض الربّ» بقوله :

ولكنّما يبني بهِ اللهُ وحدَهُ فأعطِ فقد أُربِتَ في البيعة الكتبا

واقوال عديدة مثلها تنطق بمعرفتهم لاحوال النفس والمعاد . وقد ذكرنا سابقاً

(ص ٣٢) كيف ردَّ العلّامة اوريجانس بعض المبتدعين من العرب عن ضلال سقطوا به في امر النفس اذ زعموا انها تفنى كالجسد ثمَّ تُبعث معهُ في الدينونة

(٣ علم الآداب والحقوق) مرجع هذا العلم أن يُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ مع مراعاة الاحوال والمقامات من رؤساء ومرؤوسين وافراد وجماعات الخ . وبديهيٌّ ان احوال اهل البادية تختلف عن احوال سكّان المدن وسُنَنهم عن سُنَنهم . ولشعراء الجاهليّة تأييدًا لهذه المبادئ الصحيحة اقوال لا تُحصى جمعها القدماء فنحيل اليها . منها حماسة البحتري الذي نشرناه منذ عهد قريب . قسمهُ جامعهُ على ١٧٩ باباً تتناول معظم الآداب والاخلاق التي يتباحث بها الفلاسفة فيثبتون وجوبها وقوانينها وفقاً لتعاليم العقل واحكامهِ المصيبة . انظر مثلاً ما يقولهُ الافوهُ الاوديّ في النظام السياسي وحكم ارباب الامر (شعراء النصرانيّة ص ٧٠) :

لا يصلح الناس فوضى لا سَراةَ لهم ولا سراة اذا جُهّالُهم سادوا
تُهدى الامورُ باهل الرأي ما صَلَحَتْ فان تولّت فبالاشرار تنقادُ
اذا تولّى سراةُ الناس امرَهمُ نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا

وهذا النابغة الذبياني يعزو الى الله سلطة الملوك حيث يقول للملك النعمان (شعراء النصرانيّة ٦٥٦) :

ألم ترَ انَّ الله أعطاك سُورةً ترى كل مَلكٍ دونها يتذبذبُ

وكلُّ اديب يعرف خاتمة معلّقة زُهير وما في ابياتها الاخيرة من الحكم المبنيّة على علم الاخلاق والآداب الاجتماعيّة . ومثلها في معلّقة الحارث بن الحلّزة . ولطرفة بطالب بحقوق امّه وردة (شعراء النصرانيّة ٦٩٨) :

ما تنظرونَ بحقّ وردةَ فيكمُ صُمُّ البنونَ وربطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يبعثُ الامرَ الظليمَ صغيرُهُ حتّى تظلَّ لهُ الدماء تصبّبُ
قد يوردُ الظلمُ البيّنُ آجنًا ملحًا يُخالَطُ بالدعافر ويُشْرَبُ
والاثمُ داءٌ ليس يُرجى بُرؤهُ والبرءُ برءٌ ليس فيهِ معلَبُ
أدّوا الحقوقَ تُغفَرْ لكم أعراضُكمُ انَّ الكريمَ اذا يُحرَبْ يغضَبُ

فهذه كلُّها اقوال من الفلسفة العقليّة ابرزها عرب الجاهليّة في صورةٍ شعريّة

٢ التعاليم اللاهوتيّة بين نصارى الجاهليّة

اللاهوت كما هو معلوم اساسهُ الوحي سواء كان مدوّنًا في الاسفار المقدّسة ام

شاذماً بتعليم الكنيسة . وقد عرف نصارى العرب الوحي وكتبهُ وانبيّتهُ الانبياء والرسل كما اثبتنا ذلك في الفصول السابقة (ص ١٧٩ — ١٩٠) . مثل قول الراهب ورقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ ومكالُ معهما من الله وحيٌ يشرحُ الصدرَ منزلُ

وقد ورد هناك ذكر التوراة والزبور والانجيل وبعض الانبياء والرسل كموسى وداود وسليمان ويونان . ومما اخذوهُ عن الوحي معلومات عديدة عن الله جلّ جلالهُ كتوحيدهِ وصفاتهِ العاليّة . فانَّ منها ما يُستدلّ عليهِ بالوحي اكثر من القياس النظريّ والبرهان العقليّ . فايُّ فيلسوف مثلاً وصفهُ تعالى كما فعل امية بن ابي الصلت حيث قال :

لك الحمدُ والنعماء والملكُ ربَّنا فلا شيءَ اعلى منك مجداً واحمدُ
مليكٌ على عرشِ السماء مُهيمنٌ لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجُدُ
عليهِ حجابُ النور والنور حولهُ واطارُ نورٍ حولهُ يتوقّدُ
مليك السماوات الشداد وارضها وليس لشيء عن قضاه تأوُّدُ الخ

وهو الوحي قد انبأهم بوجود الملائكة واوقفهم على مقامهم وجوهرهم وخدمتهم امام الله وطبقاتهم فذكروا منهم باسمائهم جبرائيل وميكائيل ومن طبقاتهم السرافيل (الساروفيم) والكروبيّة (الكروبيم) والملائكة الحرّاس (راجع الصفحة ١٦٤ — ١٦٧)

وقد افادهم الوحي تكوين الله للعالم من العدم وابداعهُ للكائنات جمادها ونباتها وحيوانها ثمَّ خلقهُ للابوين الاوّلين ووضعهما في جنّة عدن ثم سقوطهما بتجربة ابليس ونفيهما من الفردوس ثم ما جرى لهما وللنسل ولا سيما بوقوع الطوفان . فكلّ هذه الامور التي اثبتناها بالنصوص المتعدّدة لم يعرفها العرب الّا بواسطة الوحي (راجع الصفحة ٢٥٤ — ٢٦٦)

ومن الوحي استفاد العرب ايضاً معرفة امور الآخرة كالنعيم في السماء للابرار والجحيم في جهنّم للاشرار وبعث الاجساد في آخر العالم . وقد اتينا على كلّ ذلك بشواهد متعدّدة لا تبقي في الامر ريباً (اطلب الصفحة ١٦٣ — ١٦٤ و١٦٧ — ١٧٠)

ومما توفّق العرب الى معرفته بفضل الوحي سرّ بشارة الملاك جبرئيل لمريم العذراء

وبقاء مريم على بتوليَّتها مع ولادة ابنها . وعرفوا السيِّد المسيح ورسالته الى العالم وما اتاهُ من المعجزات واختياره لرسله الحواريين ودعوه بأبيل الأبيلينَ المسيح بن مريما وانهُ هو الذي سيدين الاحياء والاموات (ص ١٨٦ — ١٩٠) وذكروا السابق امام وجهِ يوحنَّا المعمدان ودعوهُ يحيى

وقد عظَّم عرب الجاهليَّة تعليم المسيح ونعتوا دينهُ بالدين القويم كما قال النابغة عن نصارى غسَّان :

مجلَّتهم ذاتُ الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب

وقد عرف العرب كنيسة المسيح وما فيها من رؤساء كالبطاركة والاساقفة والقسوس والشمامسة ولا سيَّما الرهبان والنسَّاك (ص ١٩٠ — ٢٠١)

وكذلك اطَّلعوا على اسرار الكنيسة كالعموديَّة والقربان والقدَّاس وعلى اعيادها كالسبَّار (البشارة) والدنح (الغطاس) والباسب (الشعانين) والفصح والسلَّق (الصعود) (ص ٢٠٨ — ٢١٠ — ثمَّ ٢١٤ — ٢١٨)

وعرفوا مناسك النصرانيَّة وكنائسها وهياكلها وما تزان بهِ من النقوش والصور وخصوصاً الصليب فحلفوا بهِ كقول عديّ بن زيد :

سمى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكَّة والصليب

وقد حلف الآخر بالقربان ودعاهُ الشَّبر

الحمد لله الذي أعطى الشَّبر

ومثلهُ عديّ :

اذ أتاني خبرٌ من مُنذم ثم أُخنهُ والذي أعطى الشبر

وحلف الاعشى بالرهبان الساجدين وبالناقوس فقال :

إني وربِّ الساجدين عشيَّة وما صلَّ ناقوسَ النصارى ايلُها
أصالحكم حتَّى تبوّدا بذلها كصرخة حُبلى اسلمتها قبيلُها

فهذه كلُّها ادلَّة اوضح من النور تبيِّن ما كان للتعاليم اللاهوتيَّة من النفوذ بين نصارى العرب استخلصناها من الشعر الجاهليّ فقط وهي احسن برهان على نفوذ الآداب النصرانيَّة بينهم

(لهُ بقيَّة)

النقابات والإضراب

بحث اجتماعي بقلم الاديب الشيخ ادوار الدحداح (تتمة)

بحث ثانٍ عن الاضراب

قصرنا بحثنا في العدد الماضي من المشرق على النقابات ونتناول اليوم الكلام عن الإضراب . والنقابات والاضراب أداتان تسيران جنباً الى جنب يرجع اليهما العمّال للسعي على حقوقهم وصيانة مصالحهم . فالأولى منهما اداة للجهاد السلمي والثانية اداة للجهاد العملي . والواحدة تستخدَم لتنظيم حركة العمّال والاخرى لتدفع بهم الى المعراك

وليست النقابات ضربةً لازبٍ لوجود الاضراب ولكنها تسهّله اذ يكون العمّال اجمعَ كلمةً واشدَّ تضامناً واقوى ساعداً . وقد دلّت الاحصاءات ان السنين التي كثر فيها عدد النقابات لم تكن بالسنين التي ازداد فيها عدد الإضراب ازدياداً يعادل وفرة شيوع النقابات

والإضراب او الاعتصاب إجماعٌ كلّي او جزئي من عمّال الحرفة الواحدة او المعهد الواحد على الامتناع من اداء ما أُوتُوا عليه من الاعمال . ويرمون بذلك الى تعطيل الاشغال والحاق الخسارة بصاحب المال على امل ان يرضخ لمشيئتهم ويستجيب مطالبهم كأن يقلّل ساعات يوميتهم او يخفض شيئاً من اعباء اشغالهم او يزيد اجورهم او يُدخل بعض التعديل على معيشتهم الى غير ذلك

وللاضراب قواعد معيّنة لا يجوز العبث بها . على أنّ من المضربين مَنْ عبث بهذه القواعد تحت تأثير الشاغبين والمحرّضين فشذّ عن جادّة الحق واغفل مصلحته الحقيقية وتجاوز بالاضراب حدود العدل اعني بها صيانة حقوق العمّال وجعله سلاحاً لمحاربة الحكومات وعرقلة سير القوانين والاحتجاج على برامج الدولة وتعكير صفاء النظام كما سنبيّن ذلك فيما بعد .

١ تاريخ الاضراب

الاضراب كالنقابات كان محظوراً من الحكومات الى عهد قريب فلم يكن للعامل قبل منتصف القرن التاسع عشر ان يعمد الى الاضراب او يتوسل الى تعطيل الاعمال . فقد كان معدوم الشخصية المستقلة محروم الحرية الفردية في العمل مدفوعاً بمشيئة ارباب الصناعة شأن رفاقه الذين تضمهم جمعيات « طوائف الحرف » المتقدمة الذكر

وقد رأت الحكومات وسائر السلطات صوابية الاضراب والاعتراف به ضمن شرائط محدودة لا يجوز تخطيها حتى في اوضح الحقوق والا استهدف المضربون لطائلة القانون الادبي والمادي . والحجة في إباحة الإضراب قائمة على مبدإ الحرية الفردية فكما انهُ يجوز للرجل الواحد ان يقعد عن الكدح لرزقه بمجرَّد ارادته دون ان يقع مادّياً تحت طائلة القانون يجوز لهط الرجال ان يحذوا حذوه

ولم يكن الاضراب قبل السماح به على الرغم من تحريمه تحريماً عنيفاً مجهولاً لدى عالم العمّال . فانهم ما فتئوا يلجأون اليه في كل عصر بين آونة واخرى . على أنَّ من استقصى حركة العمال وراقب احوالهم النفسيّة من الزمن السابق الى أيامنا الحاضرة ادرك تمام الإدراك ان منع الحكومات للإضراب لم يكن بالسبب الكافي لتلافي وقوعهِ وَدَرْءِ ضيمهِ بل ان وازعاً دينيًّا كان افعلَ بالنفوس من وسائل الشدَّة وهو الذي كان يوحي السكينة ويحبب القناعة ويدفع بصاحب المال الى انصاف اجيره

كانت الاهواء المختلفة والمصالح المتباينة اذا ما طوَّحت بالعامل وبصاحب المال وفرّقتهما الى حين لا تلبث ان تقرّب بينهما عاطفة الدين ويجمعهما رادع الضمير . اما اليوم فقد تشتت الافكار وتبدّلت الحال ولم يبقَ بين فريق من الصنّاع والاولياء إلّا هوّة سحيقة مملوءة بالضغائن والاحقاد . قال غوستاف لبيون في كتابهِ روح السياسة :

« اصبحنا اليوم اذ زالت من الصدور عاطفتا الايمان والشعور الحي فلم يبقَ الّا الكراهية الوراثيّة التي يشعر بها الفقير نحو الغني . ان العامل بعد ان فقد الايمان وتقلّص شيئاً فشيئاً من قيود الاجتماع ازداد تهجُّماً وعدوانًا وبات يحدّد الإنسانية بظلم فاحش يهون عندهُ ظلم اشد الجبابرة وطأةً »

٢ شروط الاضراب

الاضراب من حقّ العمّال والسماح به من دواعي الحرّية الفردية . ولكن أيجوز الأخذ بهذا الرأي على الاطلاق؟ . فاذا حدّدنا الحرية الفردية بانها تنتهي حيث تتعارض مع مصالح الغير اتّضح لنا ان العامل لم يَعُدْ مستقلًا بادارة شؤونه استقلالًا تامًّا نظرًا للتضامن الاقتصادي السائد في العالم وانه لا يُكتسب حقّ الإضراب الّا عند الضرورة القصوى . كما ان المرء الذي يتنزّل عن حقّه للحكومة للسهر على راحته وصيانة حياته لهُ ان يسترجع هذا الحق ويستخدمه بنفسه في حالة الدفاع الشرعي

ويجمل بنا ان لا نُنحي باللائمة الكبرى على العمّال اذا افرطوا في الاضراب بل تلوم الحكومات التي تشاطرهم المسئوليّة لانها اهملت الامر ولم تُعِرْهُ الالتفات الكافي فقد كان يجدر بها ان تنشئ معاهد او تقيم محاكم ذات سلطة كافية تضمن لها تنفيذ قراراتها ليُرجَع اليها عند وقوع خلاف بين العمال وارباب المال

وليس من يجهل ان القوة كانت قبل تأسيس المحاكم الحكم الوحيد في فصل الخلاف وان هذه الشريعة لا يزال معمولًا بها عند الدول . فهي لا تنفكّ عن ان تتطاحن وتتقاتل حتى يُضمَن لها الفوز الحقّ . واذا تعذّر على الدول اقامة محكمة قويّة لفضّ الخلاف بينها فهل تعجز عن انشاء مثل هذه المحاكم داخل بلادها لتعطي كل ذي حقّ حقّهُ بدون الالتجاء الى القوة وتعكير صفاء النظام ؟

تنجّت الحكومات عن الحيال دون الاضراب بالوسيلة المتقدمة ولكنها قيّدته بقيود تتّفق مع مهمّتها من حفظ النظام وصيانة الحقوق والسهر على راحة العباد . ومما اشترطتهُ على الضاربين ان لا يعمدوا الى وسائل العنف والشدّة وان يرغبوا عن الإضرار بصاحب المال كهدم مصنعه او تخريب العُدَد والآلات او الايقاع به . وتقدّمت اليهم ان يلزموا حدود السكينة ويبتعدوا عن المشاغبة والضوضاء وان لا يعوّقوا بالقوة والتهديد استئناف الاعمال من الزملاء الغير كافين . وتركت لهم الخيار في ان ينصحوا لهؤلاء بالحسنى وإلّا فهي تضطرّ الى التداخل بقوة الجند ومقابلة العنف بالعنف

لم تَرُقْ هذه الشروط في اعين فريق من العمّال وهم العمّال الثوريون وعدّوها تسامحاً من الحكومات وممالأةً منها لاصحاب المال وارباب الصنّاع وإجحافاً بحقوقهم فنشروا الدعوة ضد الدولة ونقموا على هذا النظام الحالي ورغبوا في ان يقلبوه رأساً على عَقِب . وناوَأوا الوطن ونبذوهُ . ودأبوا في اضرام نار الثورة في الجيش وحبّبوا الى الجنديّ العصيان على قوّاده وعدم اطاعة اوامر ضبّاطه

وان ما نذكره من هـذا القبيل التمرّد الذي وقع بين الجنود في ١٨ ايار سنة ١٩١٣ في معسكرات تول وبَلفور ومـاكون ورودز . وقد اقتضت الحكومة الفرنسية اقتصاصاً شديداً من بعض اعضاء نقابة العمل العامة لاشتراكهم في الفتن

وهناك فريق آخر من العمّال يختلف خطّةً ومبدأً عن زملائه المتقدّمين يُعرف بالعمّال المسيحيين . وهذا الفريق اكثر رشداً واشدّ حكمةً واقرب للاعتدال وابعد عن التطرّف . وهم لا يعمدون الى الإضراب الّا بعد امعان الفكر وإعمال الرويّة

ومابرحت الكنيسة تهتمّ بامر هذا الفريق المسالم فتُصدقهُ النصيحة وتبذل نحوه العناية حتى يكون قدوةً حسنة لسائر الزملاء . وكان قداسة البابا لاون الثالث عشر وقداسة البابا بيوس العاشر من اكثر البابوات عناية بهم . وقد تضيق الصحائف الواسعة عن حصر ما وضعا من المبادئ الكريمة ورسما من الخطط الحميدة التي تتفق مع صالح العمال وتراعي جانب الدين . ولشافة الكردينال برون الانكليزي مواقف مشهورة يؤيد فيها الإضراب ويناصر العمّال ضمن القوانين المشروعة . ويتلخص برنامج العمال المسيحيين في نبذةٍ نقتطفها من خطـاب للاب رونان القاه في نادي الاسبوع الاشتراكي في ڤرسايل قال :

« للاقرار بشرعيّة الاضراب لا نحتم سوى بشرطين :

الاول . ان تكون المطالب معقولة اي قـائمة على اساس جوهريّ لا بدّ منه لضمان عيشة رضيّة او لتلافي وقوع حيف فاضح يختص بمدة العمل او بالمرض او امور صحيّة مـاديّة وادبيّة . وان لم يكن هذا او ذاك فلا اقل من ان تبرّر الاضرابَ حالُ الصناعة الاقتصادية .

والثاني . ان يبرهن العمّال على انهم افرغوا جميع الوسائل المؤدية الى التوفيق وحسم الخلاف . فاذا تحقّق الشرطان المتقدّمان ووقع الاضراب وقضت الحال إقصاء العمّال الغرباء عن المحلول محل المضربين فاننا لا نستنكر سوى التوسّل بوسائل الحيف والعنف »

وهذه شريعة لا يدينُ بها العمال الثوريون وهم يستبيحون جميع الطرق لإنجاح

ما عليهم . وبينا نرى ان العمال المسيحيين يبتعدون عن السياسة ولا يضربون الا عند المسائل التي تمس حالتهم الاقتصادية مباشرة نرى ان الثوريين منهم يدخلون الاضراب في جميع أطوار الحياة من اقتصادية وسياسية

وقد أضرب العمال الثوريون وقاموا بمظاهرات عديدة عنيفة عندما سنت الحكومة الفرنسوية قانون الثلاث سنوات للخدمة العسكرية

ولما اشتعلت حرب البلقان الاولى وخيف من امتدادها الى سائر اوروبا اضرب فريق منهم في جميع بلدان القارة الاوربية وساروا بمظاهرات كبيرة حاملين الاعلام الثورية وكان مكتوب على بعضها : « اننا نقابل اعلان الحرب بالاضراب العام . الثورة ولا الحرب »

ولما قام المعدنون الانكليز باضرابهم المشهور في اول اذار ١٩١٢ احب العمال الالمان ان يشدوا أزر زملائهم الانكليز فاصدروا امرا بالاضراب العام لمعدني حوض الرور في المانيا . ولولا تخلف العمال المسيحيين عن تلبية الدعوة لكان ذلك الاضراب عاد بأوخم العواقب على العالم . وقد حملت الجرائد الاشتراكية والثورية على العمال المسيحيين حملات عنيفة ورمتهم بالجبن والرقوق . فقام الهر ستيجروالد السكرتير العام لاتحاد النقابات المسيحية الالمانية يدفع هذه الفرية . ومما قاله :

« ان النقابات المسيحية تعد الاضراب اول وسيلة للجهاد الاقتصادي فقط وهي ترى انه لا يجوز الالتجاء اليه الا حيث لا تبقى مندوحة عنه بسواه . اما النقابات الاشتراكية فانها لا تقصره على الجهاد الاقتصادي بل تعتبره ايضا اداة النضال السياسي وتريد ان تستخدمه في سبيل مظاهرات دولية »

٣ آفة الاضراب

قال المسيو لروا برليو : « لا يجمل بالعمال ان يعمدوا الى الاضراب مكررا لانه يصعب عليهم ان يستعيضوا من نتيجته وان سدت ما خسروه في خلاله . وكم من حق يؤثر الحكيم اغفاله على التشبث به ترجيحا لمصلحته »

لم ينفرد المسيو لروا برليو بهذه النصيحة بل اجمع رجال الاقتصاد على تأييدها ضنا بمصلحة العامل وحرصا على منفعته . وخير للعمال ان يعتصموا بالتوفيق (المصالحة) كلما دعت الحال فان هذه الخطة اخف مؤونة واسلم عاقبة . وقد عني الاقتصاديون

بحصر الإضراب وتفرّغوا لدرس عواقبه فاتفقوا على انها تعود بارخم النتائج على العمّال بقطع النظر عن الأضرار الاقتصادية التي تصيب العالم . ومما دلّهم عليه اختبارهم انه لا بدَّ لكل إضراب من ان ينتهي باحد هذه الحالات الثلاثة : فاما فوز واما توفيق واما إخفاق . ولبيان ذلك نورد في بحثنا كشفاً عن احصائيات الاضراب ونتائجه :

كشف مكتب العمل الفرنسوي عن الاضراب

من سنة ١٨٩٧ — ١٩٠٦

اضرب اثنا. هذه المدة ٩٧٨،١٨٨٤ عاملاً وكانت نسبة الذين فازوا منهم بطالبهم ١٢ في المائة . والذين انتهوا بالتوفيق بينهم وبين ارباب المصانع ٦٢ ٪ والذين اخفقوا اخفاقاً تاماً ٢٦ ٪.

واذا اعتبرنا النسبة المئوية المذكورة نسبةً لعدد الاضرابات لا لعدد المضربين كانت :

٣٢ ٪	فوز
٣٩ ٪	توفيق
٢٨ ٪	اخفاق

واحدثُ الاحصائيات التي لدينا احصائية سنة ١٩١١ عن فرنسة . ومتوسط الفوز والتوفيق والاخفاق كما يأتي :

النتيجة	الاضراب	المضربون
فوز	١٧,٧٥ ٪	٩,٠٦ ٪
توفيق	٣٥,٩٢ ٪	٣٦,٢٥ ٪
اخفاق	٤٦,٢٣ ٪	٥٤,٨٦ ٪

احصائية سنة ١٩١٢ عن المانيا ومتوسط النتيجة كما يأتي :

النتيجة	الاضراب
فوز	١٦,٥ ٪
توفيق	٣٩,٩ ٪
اخفاق	٤٣,٦ ٪

ولا تختلف احصائيات سائر الممالك عمَّا تقدم

ولتفهم الخسارة التي قد تقع مباشرةً بالعامل نقتبس المثل الذي اورده المسيو لوروا بوليو الاقتصادي الفرنسي الشهير قال :

« لو فرضنا ان إضراباً استمرَّ شهرًا واضاع العامل فيهِ ثمانية في المائة من أجرة سنتهِ وقدرنا خاتمة الاضراب — هذا اذا حَسُنت — اكسبت العامل خمسة في المائة علاوة على جعلهِ فان يستردَّ ما فقدهُ من الفرق الا بعد تسعة عشر شهرًا » فتأمل!

ومن آفات الإضراب ان صاحب المصنع قد يستغني احياناً عن العملة اقتصاصاً منهم وتنكيلًا بهم فيستبدلهم باستخدام الآلات التي لا تطلب الَّا نزرًا قليلًا لتحريكها فيقعدون عاطلين عن تحصيل الرزق مستسلمين لتجرُّع غصص الفاقة والضنك . فليس بخافٍ على احد ما في ذلك من جرّ البلاء على صاحب العيلة وعيالهِ اذا كان معيلًا . وقد حدث مثل هذا في مصر عند ما اضرب عمَّال السجاير لبضعة شهور ظلَّت واشتطُّوا في مطالبهم

ومن آفة الاضراب ايضاً ان يوافق وقت كساد في السوق او بوار في تجارة المصنع فيؤثر رب المال الاستغناء عن عمَّالهِ وتوفير النفقات الطائلة على ان يستجيب مطالبهم ويتكبَّد خسارة فوق خسارة . ولا بدَّ للمُضربين ان يرقبوا سير الحركة التجارية وحظها من الرواج قبل ان يُقدموا على تعطيل الاعمال وترك الاشغال حتى في اوضح الحقوق جلاء . فشرّ واحد اهون من شرَّين

وقد رأى العمال من الحكمة ان يفاجئوا الاضراب مفاجأة ولا يدعوا اصاحب المال وقتاً يُعدُّ فيهِ عدَّتهُ و يستعدّ لمقابلة اضراب المضربين بما قد يعود عليهم بالفشل . كأن يستحضر عمَّالًا جددًا او يعالج اشغالهُ بحيث لا تتأثر من الاضراب اذا طال مدة ما . ومن المعلوم ان صاحب المال اقدر على الصبر من العامل الذي تضطرُّهُ الفاقة الى العودة الى العمل باسرع ما يمكن

٤ واجب الحكومة وقت الاضراب

ليس من ينكر ان الحكومة هي الحارس الوحيد المؤتمن على حفظ الحقوق وصيانة صوالح الجميع بقسط معادل من الانصاف والعدل . ولكن لسوء الحظ

وجدناها تتأثر غالباً بالظروف والحوادث ولا تلتزم الحياد التام ما دام هذا الحياد لا يضرّ بالسكينة والامن العام . فهي كانت ولا تزال تمالئ فريقاً دون آخر . فقد كانت في الزمن السابق تحظر على العمال الاضراب وتهددهم باشد العقوبات وتراها اليوم تؤيدهم في إضرابهم وتدفع لهم الاعانات من خزائن المجالس البلدية اثناء اضرابهم . فهذا العمل لا يتفق مع حيادها مطلقاً فضلاً عن ان المال المودع في خزائن المجالس البلدية هو من مال الضرائب الذي اشترك في دفعه صاحب المال والعامل للقيام بالاصلاح ونفقات الحكومة والدفاع عن الوطن . فلا يجوز والحالة هذه ان يُنفق في غير الغاية التي جُبي من اجلها

فعلى الحكومة ان تلتزم النزاهة المطلقة ولا تتعرّض العامل وصاحب المال إلّا اذا دعتها الاحوال للسهر على السكينة وصيانة النظام . ويخلق بها ان تنشئ مجالس التوفيق وتخوّلها من السلطان وقوة التنفيذ ما يجعل احكامها نافذة على صاحب المال والعامل وتجعل مهمتها الحيال دون كل حيف يقع بفريق ما متعمّدة اعطاء كل ذي حقّ حقه . فان فعلت ذلك فقد تتلافى شيئاً من الاضرار الاقتصادية الجسيمة وتعوق هبوب تلك الزوبعة القوية التي نرى بخوف ووجل بوادرها وقانا الله من شرورها

حول جزيرة العرب

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

١ ملوك حضرموت واسراؤها .

تعريف حضرموت

سبق لنا بعض القول في حضرموت وموقعها (ص ٢٧) وهي بلاد واقعة جنوبيّ جزيرة العرب بين اليمن غرباً وعمان شرقاً وشمالاً والمحيط الهندي شرقاً . وتجاورها شمالاً الصحراء الكبرى المعروفة بالدهنا . ذات الاقحاف الرملية الواسعة وفي شمالها الشرقي بلاد مهرة والشحر الشهيرة بزارع اللبان . وقد ورد في الكتاب

الكريم في سفر التكوين (١٠ : ٢٦) اسم حضرموت (חצרמות) معناهُ بالعبرانيَّة قصر الموت وهو اسم ثالث اولاد يقطان او قحطان من نسل سام ابن نوح دُعي بذلك لسطوته على اعدائه . ولحضرموت اربعة موانٍ على بحر الهند وهي المكلَّا والشحر وقشم وظفار التي كانت قديماً حاضرة حضرموت وكان للنصارى فيها كنيسة في اواسط القرن الرابع للمسيح . وفي جنوب حضرموت جبال تبلغ اعلى قممها ٢٤٠٠ متر طولًا فيها بعض الحجارة الكريمة كالجزع ولها من المدن الشهيرة شبام وتريم وسيون وحضرموت . ومن اوديتها في داخليَّة البلاد وادي دوعن ووادي عمد ووادي حجر . وفيها الواحات المخصبة تُزرَع نخلًا وسدرًا ونبقًا ومرًّا ولباناً وتبغًا فارسيًّا (تنباك) يعتنون بزرعهِ اعتناء عظيماً ويصدرونه الى الخارج . ومنهم من يتعاطى التجارة في سواحل العجم وفي جزائر الهند وخصوصاً جاوة وفي افريقية الشرقيَّة . ويرتزق غيرهم بالحراثة والزراعة ورعية المواشي وتربية الخيل

ويسكن حضرموت قبائل من العربان يبلغون ٥٠٠،٠٠٠ نفس وهم مشهورون بفظاظة طبائعهم وشراسة اخلاقهم وعيشتهم الهمجيَّة وهم ذوو أنفة حافظوا مدَّة الوقت من السنين على استقلالهم في ايَّام الملوك الصابئة وبني حمير حتَّى فتح المسلمون بلادهم في اوائل الاسلام فولَّى عليها الخلفاء من عمَّالهم

ملوكها وامراؤها

ثمَّ نمت في حضرموت سلطة بعض زعمائها فمدُّوا يدهم الى اخذها واستقلُّوا فيها بالحكم فمنهم من اهل السنَّة ومنهم من اهل الشيعة واستولى الوهابيُّون على قسم من حضرموت . فترى اليوم في تلك البلاد عدَّة امراء يدعى بعضهم شيوخاً وبعضهم سلاطين وبعضهم سادة منهم السادة العلويَّة الحسينيَّة الذين مقرُّهم في مدينة حضرموت . ومنهم امراء قبائل الواحديين يملكون على حبَّان وعزَّان وبلغرلي وبلحاف على سواحل البحر كان سلطانهم في اواسط القرن التاسع عشر احمد بن الحسين فخلعهُ اهل دولتهِ سنة ١٨٧٧ وملَّكوا ابنهُ صالح بن احمد فمات سنة ١٨٨١ وخلفهُ ابن اخيهِ عبدالله بن احمد فعُزل سنة ١٨٨٥ وتسلطن هادي بن صالح . ثمَّ استقال سنة ١٨٩٢ واسند الملك الى اصغر اخوتهِ السلطان مُحسن بن صالح وهو

يسكن في شبام وسلطته على خلاف قبائله اسمية اكثر منها فعلية . والدولة الانكليزية منذ اوائل القرن التاسع عشر لم تزل تتقرب من هؤلاء الامراء والسلاطين وتعقد معهم المعاهدات وتدفع لهم في كل سنة مبلغاً من المال تسهيلاً لتجارتها وتنفيذاً لسياستها ومآربها

٢ عمان وامامة مسقط

في اواسط كانون الاول من السنة ١٨٩٥ رست بنا السفينة في خليج العجم امام حاضرة بلاد عُمان على سواحل جزيرة العرب الشرقية وهي مدينة مَسقط من اغرب المدن منظراً لا يُرى منها من المركب سوى صخور مرتفعة كالسلّات سوداء بركانية متقطعة الاشكال وبين هذه الصخور بيوت قليلة حديثة البناء منها قصر اميرها ومنازل بعض القناصل الاجنبيين ولا سيما القنصل الانكليزي صاحب الطَّوْل والصَّوْل في تلك الجهات . اما المدينة فهي محجوبة وراء تلك الصخور يدخل اليها الداخل كانه يلج حصناً محصناً بالمستحكمات الدفاعية

ومسقط هذه لا يُعرف من اخبارها في الاجيال الوسطى الّا النزر القليل . وانما ذاع صيتها لمّا استولى عليها البرتغاليّون بيد كبير قوادهم ألبوكرك سنة ١٥٠٩ فضبطوها وحكموا عليها الى السنة ١٦٥٨ حيث فتحها السلطان ناصر بن مرشد ولم تزل منذ ذاك الحين في ايدي الائمة والسادة الذين اتخذوها كمركز سلطنة عُمان

وبلاد عمان تمتدّ على سواحل خليج عُمان شرقي جزيرة العرب بين ثغر مربط الى جزيرة قطر وتلحق بها الجهات الممتدّة شمالاً الى اقصى خليج البحرين فطولها نحو الفي كيلومتر وغربيّها الصحاري الرملية وسلاسل جبال يبلغ اعلاها ثلثة آلاف متر وهي تحضنها من جهات البرّ حتى لا يكاد يطمع فيها طامع من تلك الانحاء . وتبلغ مساحة بلاد عمان نحو ٤٥٠٠ كيلو متر مربّع واهلها نحو مليونين ونصف من النفوس . ومناخ عمان شديد الحرارة يبلغ اربعين درجة من المقياس المئوي في نيسان وفي بعض جهات عُمان اراضٍ مخصبة واودية معتدلة الهواء . وهم يقسمونها الى ثلاث مناطق مختلفة : الاولى تهامة عمان وهي سهول ضيقة تتّسع في بعض الامكنة الى ٣٠ و ٤٠ كيلو متراً . والثانية البطنة وهي الجهات الداخلية الجبلية مع اوديتها

وهي غنيَّة بالنخيل وفيها الكروم وضروب الغلّات وقصب السكر والبنّ ومن معادنها الرصاص والكبريت والنحاس . ولاهلها حذاقة في رعية المواشي وتربية الخيل والنياق ويكثر السمك في بحرها فيصطاد منهُ اهلُها الكميّات الوافرة فيتاجرون بهِ قديدًا ومملّحاً . وفي تلك السواحل مغاصات اللؤلؤ الكثيرة واشهرها في مدن صحار ودمار ومسقط . وزالثالثة الجبات القاحلة الرمليَّة

لم يصعب على اهل عمان ان يحافظوا على استقلالهم طالما لم يقصد احد فتحها من جهة البحر فلمَّا ظهر الاسلام سيَّر اليها الخلفاء الراشدون ثمَّ الامويُّون ثمَّ العبَّاسيُّون بعثاتٍ جنديَّة فتحتها فتحاً موقَّتاً ثم رجع اليها اصحابُها فتملَّكوها . وكان الاهارن يختارونهم وعُرفوا منذ ذاك الحين بالأيمَّة فحاربوا الخلفاء وبقيت الحرب بينهم سجالاً الى ان ضعفت الخلافة العبَّاسية فصارت الامور في عُمان فوضى فانتهز اعدازهم المجاورون لهم من العجم من ملوك شيراز ومن ملوك بني نبهان الفرصة لفتح بلادهم والتملك عليها ردحاً من الدهر فاضطرَّتهم الحال الى توحيد كلمتهم فاختاروا لهم سنة ١٠٣٤هـ (١٦٢٤ م) رجلاً من شرفائهم اسمهُ ناصر بن مرشد من نخلة البادريين فهذا اذ رأى ما بلغت اليهِ اوطانهُ من الذلّ انتدب اليهِ شبَّانها وفرسانها وجعل يحارب السادة المستقلين في انحاء البلاد فكان الانتصار حليفهُ

ثمَّ وجَّه قواهُ لمحاربة البرتغاليين الذين كانوا مالكين على سواحل عمان متحصنين في مراكزها الكبرى كمسقط ومطرح وصحار فلم يزل يناوشهم القتال مرَّة بعد مرَّة حتَّى كاد يستأصل شأفتهم . لكنَّ موتهُ حال دون تتمَّة عملهِ سنة ١٠٥٩هـ (١٦٤٩ م) فقضى مأسوفاً عليهِ لحسن سلوكهِ مع الرعيَّة

فخلفهُ ابن اخيه سلطان بن سيف فجرى على آثارهِ واستولى على ما بقي من الحصون للدولة البرتغاليَّة في مسقط وسواحل عمان بل جاز الخليج الى الهند وحارب البرتغاليين وغزا املاكهم في مقاطعة كُجرات ونهب مدينتي ديو ودامان ورجع بغنائمهما . ثمَّ اخذ في اصلاح بلادهِ وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها وتحصين مواقعها المعرَّضة لغارات العدو لا سيَّما مدينة نزوة . وقد دعاهُ اهل بلادهِ « سيف الكاف » يشيرون بذلك الى معرفتهِ بعلم الكيميا . توفي نحو السنة ١٦٦٨

ثمَّ توالى بعدهُ اثنا عشر اماماً من نسل ناصر بن مرشد كان اوَّلهم بلعرب بن

سلطان (١٦٦٨ — ١٦٨٨ م) جرى بينهُ وبين اخيه سيف بن سلطان حروب دامية كان الفوز فيها لسيف فملك على عمان (١٦٨٨ — ١٧١١) وجعل مقامهُ في رستاق. ثمَّ خلفهُ ابنهُ سلطان بن سيف الثاني (١٧١١ — ١٧١٨) حارب العجم وانتزع من يدهم جزيرة البحرين وسكن الخزم . ثم ملك مهنَّا بن سلطان (١٧١٨ — ١٧٢١م) اشتهر بحسن التدبير والسياسة لكنَّ ذوي الفتن لم يرضوا بهِ فقتلهُ يعرب بن بلعرب وحصل بعدهُ اضطرابات مختلفة ومنازعات بين الاحزاب طالت مدتها وفتحت باباً لاعداء الدولة فزحف عليها العجم وتملَّكوا على عدَّة اماكن منها نزوة ومسقط ولم تنتهِ هذه الاحوال السيئة الَّا بانتخاب الامام احمد بن سعيد فهذا اصلح الامور بحسن سياستهِ وبسالتهِ في محاربة العجم فاخرجهم من البلاد حيناً بالقوَّة وحيناً بالخداع والمكر فتناصر العمانيُّون على توليتهِ وساعدوهُ في حروبهِ فكان النصر معقوداً على راياتهِ . ومما يذكر لهُ من خدمهِ للدولة العثمانيَّة انهُ خلَّص مدينة البصرة من ايدي العجم سنة ١٧٥٨ وردَّها لاصحابها . وكذلك خرج لمحاربة القرصان الذين كانوا يعيثون في بحر الهند ويقلقون السُّكَّان بغزواتهم

مات احمد بن سعيد فخلفهُ ابنهُ الاصغر سعيد بن احمد (١٧٧٥ — ١٧٧٩ م) وكان محبًّا لاصلاح الامور وتجديدها فلم يَرُق الامر في اعين اهل عمان فخلعوهُ وتركوا لهُ الامامة وجعلوا مكانهُ ابنهُ حامد ودعي بالسيِّد ففُصلت السيادة عن الامامة ثمَّ نقل حامد كرسيَّ ملكهِ الى مسقط فأصبحت حاضرة الدولة الى يومنا . توفيَّ حامد لاثنتي عشرة سنة من ملكهِ (١٧٧٩ — ١٧٩٢) بداء الجدري في مسقط

ثم قام بعدهُ السيِّد سلطان بن احمد (١٧٩٢ — ١٨٠٤) تملَّك بالدهاء وتفريق كلمة اقاربهِ الطالبين الامر لنفسهم . وفي ايَّامهِ شرع الانكليز يطمحون بالنظر الى خليج العجم فعقدت شركتهم الهنديَّة معاهدةً معهُ في ١٢ آب سنة ١٧٩٨ سمحت لهم بفتح المخازن والمحلات التجاريَّة تحت حراسة بعض الجند على سواحل العجم في بندر عبَّاس وفي مسقط . ومن مآثر سلطان بن احمد توقيفهُ للوهابيين الذين سعوا في فتح عمان فردَّهم خاسرين . قُتل سلطان في البحر وهو متوجه الى سواحل العجم فاعترضهُ في طريقهِ بعض القرصان فقتلوهُ

قام بالامر بعدهُ سعيد بن سلطان (١٨٠٤ — ١٨٥٦) فطال ملكهُ واضطربت

الامور في عهده بغارات الوهّابيين على عمان بيد انّ الحملة المصريّة في ايّام محمّد عليّ انقذتهُ من بلائهم . لكنّهم عادوا بعد حين واستولوا على الخاء من عمان . وكذلك اغارت عليه بعض قبائل العرب وضايقتهُ القرصان بحرًا وعصى عليه بعض عماله فاستنجد بالانكليز فارسلوا اسطولًا لنجدته . فعدّ الانكليز هذه الفرصة نعمةً لتمكين نفوذهم في عمان

خلف سعيدَ بن سلطان ابنهُ ثوينيّ (١٨٥٦ — ١٨٦٦) فكانت ايّامهُ كثيرة الفتن فدعا الى نجدته الوهابيين ثمّ الانكليز فزاد بذلك الشغب بدسائس اخوته وتداخل الاجانب . وفي ايّامه عُقدت معاهدة بين دولة عمان ودولة فرنسة نظرت اليها انكلترّة شذرًا وحاولت ان تعرقلها على قدر استطاعتها . قتل ثوينيّ ابنهُ سليم فملك بعدهُ سنتين بفضل الانكليز (١٨٦٦—١٨٦٨) لكن كثيرين وقفوا لهُ بالمرصاد الى ان تمكّن احدهم عزّان بن قيس فدخل مسقطاً وفاجأ سليماً الذي تمكّن من الفرار الى جهات العجم . فسعى الدخيل ان يثبّت ملكهُ فساس البلاد ست سنين (١٨٦٨—١٨٧٤) حتّى خلعهُ عن ملكه بمعونة الوهابيين تركيّ بن سعيد (١٨٧٤—١٨٨٨) وتولّى مكانهُ . ثمّ قام بعدهُ السيد فيصل بن تركيّ . وهو الذي وجدناهُ في مسقط يوم مرورنا فيها في اواخر سنة ١٨٩٥ فكان كالاسير في قبضة الانكليز ليس لهُ من الامر سوى قشرته وطالت ايّامهُ فتوفي في تشرين الاوّل سنة ١٩١٣ فخلفهُ في السيادة على مسقط نجلهُ السيّد تيمور وهو اليوم صاحب الامر فيها . وجاء في مجلّة لغة العرب (٣ : ٢٧٩) انهُ انضوى الى الماسونيّة قبل ملكه بسنتين

٣ الكويت وشيوخها

قد امتنانا حضرة مكاتبنا السابق الاب انسطاس الكرملي الحافي سنة ١٩٠٤ (المشرق ٧ : ٤٥٠ — ٤٥٨ و ٥٠٧—٥١٢) عن وصف الكويت بعد اتساعه في تعريف موقعها واصلها ومقامها وتجارتها وما يتبعها من القرى ومغاصاتها اللؤلؤيّة . فبقي علينا ان نورد لمحةً من تاريخها وذكر شيوخها

كان الاتراك يعدّون الكُوَيت كقضاء من اقضية ولاية البصرة وهي على ساحل بحر العجم على ١٢٣ كيلو مترًا منها جنوباً وعلى ٨٢ كيلو مترًا جنوبي غربي حصن

فاو حيث يصبّ شط العرب في البحر العجمي . والكويت حديثة النشأة قليلة الاتساع لا يزيد اهلها مع القرى اللاحقة بها عن ٣٠٠٠ بيت ونحو ثلاثين الفاً من السكّان يوزّق اهلها بالزراعة والفلاحة ورعاية المواشي والغوص على اللؤلؤ

ومع وقوع الكويت ضمن الولايات التركيّة فانّها تعدّ كبلاد مستقلّة منذ ايّام مدحت باشا اذ ساعد الشيخ عبدالله الدولة العثمانية في إخضاع سنجق نجد لحكم الاتراك

والشيخ عبدالله هذا من أسرة عربيّة تعرف بآل صباح قديمة شريفة . استلفتت اليها انظار الدولة منذ ايّام جدّه الشيخ جابر الصباح وكان يحكم على قبائل العرب في جهات شط العرب ثمّ خلفه ابنهُ الشيخ الصباح فعُني بتحسين الكويت وجعلها له مركزاً مناسباً لمقامه فشيّد له فيها قصراً سكنه . ثمّ خلفهُ عبدالله بن الصباح المذكور فعيّنتهُ الدولة التركيّة قائمقاماً على الكويت براتب معلوم وكان مع ذلك يتصرّف في مأموريّته تصرّف السيّد المستقلّ فلا تعارضهُ الدولة واغا تكتفي بان يعيش في ولائها

ولمّا صار الامر بعد وفاة عبدالله الى صاحب الكويت الحالي وهو مبارك بن الصباح خوّلتهُ الدولة لقب الباشا وبعث بان تستميلهُ الى اغراضها وتعاملهُ معاملة العمّال . الّا ان الشيخ مباركاً لم يلبِّ دعوتها وانس من انكلترا التودُّد والمجاملة فمال اليها واستند الى قواها . فقصد الاتراك ان يصطادوهُ بالدهاء والعنف فلم يقووا عليه وكان اذا حاولوا الضغط عليه رفع العلم الانكليزي فتستطير الجيوش البريطانيّة الدفاع عنهُ وينالهُ من كرمها المال الطائل فأصبح في يده الحلّ والربط والحكم المطلق . وردَ غارات القبائل المجاورة ولاسيّما قبيلة مطير . وقد عُني بتزيين الكويت بالمباني على الطراز الحديث واتّخذ له جنوداً لخدمته وكلّية للناشئة . ولمّا انتشبت الحرب العموميّة الاخيرة اتّفق شيخ الكويت مع عبد العزيز بن سعود وسلطان الحجاز شريف مكّة على محاربة الاتراك وقد جعل اخاهُ جابراً على نظر احوال مدينته الداخليّة وخصّ نفسهُ بامورها الخارجيّة وكان حالف سابقاً الوهابيين لردّ غارات ابن رشيد الذي كان يتهدد الكويت وتعضدهُ سرّاً الدولة التركيّة فارسل شيخ الكويت احد ابناء سعود وهو عبد العزيز بن سعود الى رياض حاضرة ابن رشيد فنشر هناك

العَلَم الوهابي الابيض والاحمر وكاد مبارك بن صباح يغلب ابن رشيد على الحائل لولا ما امدَّتهُ به الدولة العثمانيَّة من الجند والذخائر

على انَّ تقرُّب مبارك بن صباح الى الدولة الانكليزيَّة قد اصبح اليوم خطرًا على دولتهِ الصغيرة التي تطمع فيها انكلترَّة حاضرًا تتدخلها في املاكها

هذا وفي العراق في ولاية البصرة وجوار شط العرب عدَّة قبائل يحكم عليها شيوخ يغلب عليهم الاستقلال كالشيخ خزعل صاحب المحمَّرة وعجمي بك السعدون رئيس عرب المنتفق وغيرهما . والدولة الانكليزيَّة ساعية اليوم في كسر شوكتها ودفع مخارها ومنع غزواتها . ولا شك انها تقوى عليها بسياستها المعهودة . ونختم هنا مقالتنا هذه مستميحين عذرًا عمَّا وجدهُ القرَّاء فيها من الخلل . والكمال لله وحده

اعظم طامَّة في الحرب العامَّة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيَّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٩ ايطاليا

كلّ يعلم انَّ ايطالية كانت احدى الدول المحالفة لالمانية منذ سنة ١٩٠٢ وثالثة التحالف الثلاثي تربطها مع محالفيها روابط معاهدة تضمن لهم بموجبها المساعدة في الدفاع دون الهجوم . فلمَّا اعلنت المانية الحرب على فرنسة لم ترَ الحكومة الايطالية داعياً للنزول في ساحة القتال لحكمها بالصواب انَّ الحرب هجوميَّة لا دفاعيَّة فصرَّحت في ٣ آب ١٩١٤ ببقائها على الحياد . وكان ذلك بعناية خاصَّة من الله اذ امكن الكنيسة ان تجمع في عاصمة الكثلكة كرادلتها من سائر الممالك وتقيم قانونياً خلفاً للطيب الذكر البابا بيوس العاشر المتوفى في ٢٠ آب فوقع اختيارهم على قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيداً . وكان معظم الشعب الايطالي مؤمّلاً انَّ دولتهم ستثبت على حيادها الى آخر الحرب

فما اعظم ما كان اندهاش العالم اذ اعلنت الانباء البرقيَّة في ٢٣ ايَّار سنة ١٩١٥ بان ايطالية قطعت علاقاتها مع حلفائها وانضمَّت الى دول الاتفاق فبثَّت جيوشها في المقاطعات النمسويَّة

فكان لهذا العمل اسوأ وقع في دولتي النمسة والمانية وعدُّوا ذلك خيانةً محضة فقبَّحوهُ اشدَّ التقبيح وكذلك كثر القال والقيل بين الدول المتحايدة حتى بين اصحاب ايطالية فنسبوها الى الانانيَّة والمطامع . لكنَّ ايطالية تنصَّلت من هذه الشكايات في كتابها الاخضر حيث بيَّنت انَّ الدول المركزيَّة لم تُشعرها بوقوع الحرب كأنها لا تبالي بها وانها نخست حقوقها في البلقان حيث استولت النمسة على سربيَّة ومدَّت يدها الى البانية دون ان تعطي ايطالية التعويضات الموعودة بها والتي اقرَّت بها المانية نفسها . فلمَّا اخت ايطالية في سؤال حقوقها وطالبت ان تُعطى تريستة وبعض المقاطعات النمسويَّة جعلت النمسة تسوفها وتماطلها وتعدها المواعيد الفارغة ودامت المخابرات بين رومية وڤينة اشهرًا دون نتيجة حتى مل صبر ايطالية فقلبت وقتئذٍ ظهر المجن لحلفائها وعدلت الى الدول الاتفاقيَّة لتنال ما لم تنلهُ من حليفتيها

اجتازت ايطالية في هذه الحرب اربع مراحل هامَّة تقلَّبت فيها امورها تقلبًا عظيمًا :

كان الطور الاوَّل طور نشاط وتحمُّس عظيم وكان الشاعر غبريل دنُّونتزيو يبعث الهمم بقصائده الرنَّانة فاندفعت الجيوش الايطاليَّة كالسيل الجحاف في معاملات ترنتا وقصدها اختراق الخطوط الدفاعيَّة والاستحكامات الحريزة التي اقامتها النمسة على طول جبل ايزونزو فنفذت في عدَّة امكنة فيها واستولت في ٦ ايلول على جبل نيرو (اي الاسود) ثمَّ واصلت حملاتها الظافرة في فصلي الصيف والخريف تحت قيادة كبير قوَّادها الجنرال كدورنا . وانتهت في ٧ تشرين الثاني باستيلائها على مشارف كرديفوني ومضايق لَانا على علو ٢٤٦٤ مترًا فوق سطح البحر وغنمًا عمَّا وجدته في طريقها من فيالق العدوّ البالغة مليونًا من الجند والموانع المديدة التي كبَّدتها خسائر فادحة حتى اقرَّ العالم للايطاليين بالبسالة وصدق البلاء في الحروب بعد ان كانوا ينسبونهم الى الضعف والفشل . وفي غرَّة كانون الاوَّل صادقت ايطالية على معاهدة لندن وقرَّرت ان لا تقبل صلحًا منفردًا

امتدَّ الطور الثاني على ايطالية من اوائل السنة ١٩١٦ الى شهر تشرين الثاني منها . خمدت نوعًا حركة الجيوش الايطاليَّة في شتاء هذه السنة لكنَّها في اوائل الربيع نهضت اليها نهضةً ثانية بخيلها ورجلها وعددها وعُددها الضخمة وزادت الايطاليين نشاطًا حاجةُ النمسا الى قسم من جيوشها لمحاربة المسكوب في غاليسية

فتقدم الايطاليون الى الامام وتوغلوا في البلاد منتصرين مرارًا على النمسويين حتى عُزل قائدهم كنراد فون هوتسندورف وأُقيم مقامهُ الارشيدوق فردريك فاعادوا الفيالق الموجهة الى غاليسية . على انّ الايطاليين لم توقفهم هذه التغييرات فلم يثنوا عزمهم في الهجوم حتّى دخلوا مدينة غوريتزيا المحصنة في ٩ آب ١٩١٦

وفي ٢٧ منه اعلنت ايطالية الحرب على المانية وسارت جيوشها الى جبال كرسو التي تحول دون الطريق الى تريستة فلم تزل تناجز القتال الجيوش التي جمعتها النمسة فيها وتحمل على حصونها المنيعة حتى مهدت لها الطريق الى تلك الحاضرة غاية مبتغياتها اولا انّ العدوّ تسارع الى قمم هرماد الباقية من جبال كرسو وعنى فيها معظم جيوشهِ وحصّنها بكل الاستحكامات وضروب الادوات الحربيّة فرأى الجنرال كدورنا انّ محاربتها تستدعي ضحايا عظيمة فاخذ يُعدّ لها وسائل اخرى لنصرة جنده

وبهذا تمّت المرحلة الثانية للحرب الايطالية التي اكسبت دولتها قسماً كبيرًا من معاملات ترنتا واوقعت في يدهم نيّفًا ومئتي الف اسير وذلك قبل ان تستدعي ايطالية جيوشها الاحتياطيّة

الطور الثالث لحرب ايطالية تناول السنة ١٩١٧ باسرها على التقريب فابتدأ بانتصارات متوالية اخصّها انتصار جامبانو في ٢٣ ايّار الذي كاد يكون الضربة اللازبة على النمسويين حيث تمكّنت الجيوش الايطالية من جبلي كوكنو واورتيراغا

كانت هذه الانتصارات تبعث في قلوب الايطاليين الامل على قرب نهاية الحرب ودخول جيوشهم الى تريستة لكنّ في تلك الاثناء حدث انقلاب روسيّة وعقدها الصلح المنفرد مع المانية فكانت نتيجة ذلك انّ المانية والنمسة سحبتا قسماً كبيرًا من جيوشهما فوجّهتاهُ الى محاربة الايطاليين الذين لم يستطيعوا مقاومة هذا العدد العظيم من قوى العدوّ فذهبت ريحهم واضطرّوا الى رجوع القهقرى . وكانت اعظم كسرة اصيبوا بها في كابور توشماليّ غوريتزيا بدّدت شملهم وسهّلت فتح سهول بلاد البندقيّة امام الدول المركزيّة

الشوط الرابع يمتدّ في كافة السنة ١٩١٨ الى اوائل تشرين الثاني . كادت علبة كابور تو تسحق ايطالية سحقًا وتلاشي كلّ آمالها . فانّ عدد القتلى والجرحى والاسرى اربى في تلك الوقائع على نصف المليون . واراد العدوّ ان ينتفع من نصره باقتحامه

على كلّ بلاد البندقيّة فاغار على فلول عساكر الايطاليّة فقتل واسر ودمّر ما شاء الّا انّ فرنسة وانكلترا لم ترضيا بان تُسحق حليفتهما فاسرع ارباب الامر واتفقوا على انقاذها من بلائها فارسلوا عدّة طوابير من جنودهم ليأخذوا الطريق على جيوش العدوّ ثمّ اقاموا لقيادة الجيوش الايطالية العامّة احد نوابغ الحروب الجنرال المغوار دياز وحدّدوا معهُ طريقة العمل ليتصدّوا الجيوش الالمانيّة والنمساوية

لكنّ هذه التدابير لم تتمّ الّا في خاتمة السنة ١٩١٧ واوائل ١٩١٨ بعد ان فقدوا قسماً عظيماً من الجند والذخائر واطراف البلاد فتحفزوا لقمع شرة العدو عند نهر پياڤي ومشارف جبال غرابا فتمكنوا فيها وحصّنوها تحصيناً فائقاً يئس العدوّ من قطع خطوطه فارتدّ خاسراً في ربيع السنة ١٩١٨ ثمّ احسّ الالمان بحرج الحال في الجهات الغربيّة واستدعوا قسماً من عساكرهم المحاربة في ايطالية الى جبهات فرنسة لكنّ النمسويين زادوا قواهم واستعدّوا لمهاجمة عموميّة تفتح لهم طريق مدينة البندقيّة وتظفرهم ببقاعها المخصبة

فعرف الاتحاديّون ما قصدهُ العدوّ فشمّروا عن ساعد الجد واتخذوا كلّ الاحتياطات لردّ غاراتهم. ففي ١٥ حزيران غلساً افتتح النمسويون الهجوم بمدافعهم الضخمة وبطاريّاتهم ثمّ اخذت فيالقهم تزحف الى الامام من كلّ صوب وبوات ومئات الوفوهم يؤكدون انهم ظافرون لا محالة. وكان الملك شرل حاضراً يتعشهم بشخصه ومثله ودامت هذه الحملات ثانية ايّام دون انقطاع ظنّ ناظروها انّ القيامة قامت بكل اهوالها. على انّ الاتحاديين ثبتوا لها ثبوت البناء المرصوص وأبلوا احسن البلاء في كسر شباتها. وساعدهم على ردّ تلك الغارات ان نهر پياڤي طغى في تلك الاثناء فكان طغيانهُ موافقاً لحركات الايطاليين وحلفائهم فذهب فيهِ الوف من جند العدوّ غرقاً. قيل انّ النمسويين خسروا في ذلك الاسبوع نحو ٢٠٠,٠٠٠ جندي قتلاً او اسراً

ثمّ هدأت المعارك الدامية مدّة ما عدا المناوشات البسيطة الى شهر تشرين فاستعدّ هذه النوبة الايطاليّون مع حلفائهم الى هجوم نهائي يتوّج هامهم بغار النصر فلمّا كان اليوم ٢٧ من تشرين الاوّل حلّقوا على النمسويين كالقشاعم فقاتلوهم قتال السباع ثمّ كرّروا عليهم الزحف ولم يدعوهم ان يتنفّسوا واستمرّ ذلك عشرة ايام متوالية كان آخرها الرابع من تشرين الثاني مزّقوا فيها شمل العدوّ كلّ ممزّق وساروا الى مدينتي ترفتا

وتريستة فدخلوها ظافرين فعمّ الفرح ايطالية باجمعها واناهم الجنرال فون أرتز طالباً الهدنة باسم دولته فلم تُعطَ لهُ الّا على شروط قاسية اضطرّ الى قبولها شاء ام أبى . وكانت الثورة وقتئذٍ هائجة في انحاء النمسة والملك شرل ناجياً بنفسه من معرتها

ومن المعلوم انّ ايطالية قد نالت من هذه الحرب بلاداً واسعة واملاكاً رحبة ما عدا نواحي ترنتا واصقاع التيرول منها عدّة جزائر معتبرة كرودس ومعاملات مهمّة في البانية والاناضول . وقد صارت لها السيادة التامّة على بحر الادرياتيك

١٠ اميركا

لم يَدُرْ في خلد الاميركيين ان يدخلوا في الحرب العموميّة وهم يجدون في حيادهم مصادر ثروة واغتنام لزمن طويل فان الولايات المتحدة كانت قدمت الدول المتحاربة من الذخائر الحربية وغيرها ما تبلغ قيمته ٥٣ مليارًا من الفرنكات . وكان الالمان ينظرون الى رئيس الولايات المتحدة لما ضاقت الدنيا في وجههم مؤمّلين بتوسطه « صلحاً مانيًا » اي موافقاً لغاياتهم . وصرّح الرئيس ولسون في نادي الشيرخ انّ هذه الحرب ينبغي ان تُختم « بسلم دون انتصار » (كذا)

على انّ الظروف قلبت افكار اميركا فانّ اهليا استاءوا كلّ الاستياء لمّا اغرقت غوّاصةٌ المانية الباخرة لوسيتانية في ٧ ايّار ١٩١٥ هلك فيها غرقا عدد عديد من اعيان اميركا . ثمّ احتدموا غيظاً وجنحوا الى الحرب مدفوعين بعواطف الانسانيّة والشرف وذلك بعد ان وافق القيصر غليوم اركان دولته على حرب الغواصات العميا ليضرب كلّ المراكب الدوليّة لا يستثني منها الدول المتحايدة نفسها . فكان لهذه السياسة الخرقاء اسوأ وقع في قلوب العموم وقبحها على الخصوص الاميركيّون لما عُرفوا به من الأنفة وصيانة حرّيّة الامم

وما لبثت هذه المقاصد السيّئة ان اتت بثمرتها الفاسدة . فان الرئيس ولسون قطع اوّلا في ٣ شباط كلّ علاقات رسميّة مع الدول المركزيّة ولمّا تكرّرت مساوئ الغوّاصات اعلن الحرب رسميًّا على المانيا في ٢ نيسان ١٩١٧ . وبعد قليل اقتدت البرازيل ومعظم الولايات الاميركيّة الجنوبيّة باميركة الشمالية فاصبحت الحرب منذ ذاك الحين حربًا كونية تشمل العالمين القديم والحديث . فندم الالمانيّون على

فعلهم ولكن لات حين ندم

وباشر الاميركيون الحرب كما يباشرون امورهم كلها بسرعة وأهبة عجيبتين فانهم للحال فرضوا بالتجند الالزامي على كل المواطنين فبلغ الاكتتاب في ٥ حزيران عشرة ملايين من الجند جهزوا قسماً كبيراً منهم بكل الادوات الحربية والذخائر واجازوهم فرقاً فرقاً وفيالق فيالق الى فرنسة حيث قام الجنرال جوفر بتسريبهم على كل الفنون الحربية . فرجحت منذ ذاك كفة الميزان الى جهة الاتفاقيين . وبلغ عدد الجنود الاميركية المحاربة في اواخر تلك السنة ١،٤٢٨،٠٠٠ نزلوا ساحة الوغى تحت قيادة الجنرال پرشنغ يحاربون العدو مع الامم الاتفاقية جنباً لجنب ببسالة نادرة كأن النخوة الفرنسوية تجسمت في اشخاصهم فامتزجوا بزملائهم امتزاج الماء بالراح وكأن الاميركيين اجمالاً ارادوا ان يشكروا في هذه الحرب فرنسة على مساعدتها لهم سابقاً في نوال استقلالهم

لسنا لنتبع مواقف الجنود الاميركية لوصف مآثرهم الجليلة في سنة الحرب الاخيرة وغاية ما يقال انهم احرزوا لهم فيها مجداً مؤثلاً فلم يدعوا معركة مهمة الا شاطروا النصر اصحابها في الساحات الغربية في شمالي فرنسة وبلجيكة ولاسيما في الغارات الاخيرة التي كسحت كل قوات المانيا وحليفاتها في شهور الخريف من السنة ١٩١٨ (ايلول — تشرين الثاني) فعادوا الى اوطانهم مكللين بالظفر ومدونين على صفحات تاريخ بلادهم ذكراً مخلداً لمرتهم واريحية طباعهم

على ان الرئيس ولسون مع ما اداه من الخدم للدول المتحالفة عكر نوعاً صفاء مجده بما اشاعه من التقارير الملتبسة في تحرير الامم وتحريتها الاستقلال . فنتج عن ذلك نتائج وخيمة بعثت المطامع الاشعبية في القلوب وهددت العالم باخراب نجانا الله من عتابيل هذه الحرب الطاحنة فانها تنذرنا بويلات ومصائب اشد وامر من الحرب

هذا ومعلوم ان دولا اخرى غير التي ذكرناها دخلت ايضاً في الحرب مع الدول الاتفاقية كاليابان والصين والبرتغال والبرازيل وغيرها من دول اميركا الجنوبية غير ان اعمالها كانت محصورة في دائرة ضيقة لم تأت من الاعمال ما يستحق ذكراً خصوصياً وانما ساعدت بانضمامها الى الاتفاقيين على امتلاك مستعمرات الدول المركزية وضبط بواخرها وعرقلة حركاتها خارجاً عن اوربة . وبه نختتم هذه المقالة ملتمسين منه

تعالى ان يعيد السلام للعالم ولا يرينا ثانيةً حرباً مثلها بمنّهِ ورحمتهِ

مطبوعات شرقية جديدة

MATERIALS FOR THE STUDY OF THE BABI RELIGION compiled by Eduard G. Bronne. *Cambridge*, 1918, *in*—12, *pp.* XXII—380

معلومات لدرس المذهب البابيّ

هذه ثلثون سنة بنيف يجدُّ العلّامة المستشرق ادوار برَوْن استاذ اللغة العربيَّة في كلّيَّة كمبردج في درس المذهب البابيّ نابرز فيهِ عدّة كتابات سبق لنا وصف بعضها. وفي مدّة الحرب الاخيرة تمكّن من جمع مآثر جديدة منها عربيَّة كتاريخ البابيين لميرزا محمّد جواد القزويني ومنها فارسيَّة نثراً ونظماً يبلغ عددها احد عشر اثراً فنقل كل ذلك الى الانكليزيَّة وحشّاهُ بالشروح التاريخيَّة والادبيَّة تسهيلاً لمطالعتهِ وختمهُ بفهارس غاية في الاتقان. فنشكر جناب الاستاذ على هذا العمل الجديد الذي يزيدنا علماً في تلك البدعة الغريبة وهي احدى ثمرات بلاد العجم حيث كثرت الشيع منذ اوائل الاسلام. والبابيَّة كما لا يخفى تنتسب الى السيّد علي محمّد الشيرازي الذي دعا نفسهُ بالباب اي الطريق لمعرفة الحقّ سنة ١٨٤٤ وتبعهُ قوم من مواطنيهِ. فقبضت عليهِ الدولة العجميَّة وامرت بقتلهِ سنة ١٨٥٠. ثمَّ خلفهُ في نشر تعاليمهِ عدّة رجال أثاروا عليهم الحكومة بتحزُّبهم عليها ومحاربتهم لها وتعاليمهم المنافية لأصول الاسلام. وقد انقسمت البابيَّة الى قسمين بين الاخوين ميرزا يحيى نوري المعروف بصبح الازل الملقَّب بالباب في قبرس وميرزا حسين علي المعروف ببهاء الله الذي توفّي في عكّا سنة ١٨٩٢ فخلفهُ ابنهُ البكر عبّاس افندي المسمّى عبد البهاء والملقَّب بالغصن الاعظم. وهذا الفرع اشيع من الاوّل وقد الّف نوعاً تعاليم البابيَّة واخذ من الاسلام والنصرانيَّة بعض التعاليم الادبيَّة وانكر كثيراً من معتقداتها فاثار عليهِ بغض اهل السنَّة والشيعة معاً. وقد لحظنا العجب من مقالة ظهرت آخراً في جريدة (La Syrie) لم يخجل كاتبها بان يعظّم هذه البدعة ويقابل بينها وبين الدين المسيحي وقد ردَّت عليهِ جريدة البشير

ل . ش

PETER THOMSEN : **Systematische Bibliographie des Palaestina Literature**, Bd, III ,1916 , Leipzig,Hinrichs , xx-387

الجزء الثالث من قائمة المطبوعات عن فلسطين

وصفنا الجزئين السابقين من هذا المجموع الفريد الذي ضمنه جامعه السيو بيتر توسن كلّ ما وقف عليه من المطبوعات عن فلسطين منذ ظهور فن الطباعة في كل اللغات الاوربية الشرقية فتكلف في تأليفه عناء لا يوصف . وهذا القسم الثالث هو ختام ذلك العمل الخطير يشمل المطبوعات التي برزت منذ السنة ١٩١٠ الى ١٩١٦ ويحتوي ٤١٤٨ عدداً في ٣٣٦ صفحة مع فهارس للأعلام المذكورة . وكفى بهذا دليلا على همّة الجامع ومن ساعده من العلماء في عمله فنكرّر عليه شكرنا ونخص محبي تاريخ سوريا وفلسطين على اقتناء تأليفه ل . ش

CONSTANTIN PHOTIADES : **La Victoire des Alliés en Orient** 15 Sept. - 13Nov.1918 .*Paris ., Plon -Nourrit.*, 1920, *pp.* 247 *avec* 8 *gravures et* 3 *Cartes*

نصرة الحلفاء في الشرق

هي النصرة التي فاز بها الجنرال فرنشه دسبري في مقدونية في ١٥ ايلول سنة ١٩١٨ وتعرف بنصرة دوبروپولي (Dobropolje) وهو جبل كان البلغار منذ ثلث سنوات حصنوه تحصيناً لا مثيل له حتّى اثبت كلّ من رآه انه لا يُرام لحصانته غير انّ الفرنسويين ليسوا ممّن تثني عزمهم العقبات والشقات فانهم بايّام قليلة فعلوا ما لم يفعلهُ غيرهم بعدّة شهور والحق يقال انهم في هذه الحرب العمومية أنسوا اعظم ابطال العصور الماضية . والكتاب الذي نحن في صدده اقوى برهان على ذلك كتبهُ احد اليونان مقرّظاً للفرنسيس بالسباق على كلّ من سواهم في البأس وآداب الحروب . وهذه شهادة البرنس اسكندر وليّ عهد سربية في انتصار دوبروپولي كتبهُ ثلاثة ايّام بعد وقوعه :

« قد حقق ابطال الفرقة الفرنسوية الثانية والثانية والعشرين يوم واحد ما اعدّهُ البلغار من التحصينات الفائقة منذ ثلاث سنوات وصف في مشارف سوكول ودبروپولي . . . فهذا النصر الفجائي ملأ قلبي عجباً واندهالاً مما حصّت به الجنود الفرنسوية من الفضائل العسكرية فلعمري انها اضافت صفحة جديدة غاية في البهاء الى تاريخ الجندية الفرنسوية المجيد » ل . ش

كتاب الاكتشاف الثمين لاطالة العمر مئات من السنين

تأليف الدكتور لويس بري صابونجي (طُبع في نيويورك سنة ١٩١٩

الدكتور لويس بري صابونجي هو القس لويس صابونجي الذي عرفهُ اهل بيروت قبل خمسين سنة اذ كان يحرّر النحلة ثمَّ تقلَّبت بهِ الايّام الى ان صار في خدمة السلطان المخلوع عبدالحميد وولي عهده . وقد ذكرنا سابقاً ديوانهُ . وهذا الكتاب الجديد من جملة فكاهاتهِ يدّعي فيهِ اكتشاف الوسائل لاطالة العمر مئات من السنين وذكر ما حاول بهِ الاطبّاء والعلماء لاطالة الحياة وتجديد الشباب منذ قديم الزمان الى يومنا وعدَّد بعض من عمّروا العمر الطويل . وقد قسم كتابهُ الى اربعة وثلثين فصلاً دعاها فكاهات وكفى بالاسم دليلاً على ان المؤلف يحاول المزح اكثر منهُ الجدّ وقد احسن بقولهِ في آخر كتابهِ انَّ الموت احد نواميس الطبيعة التي لا بدَّ منها لكنَّهُ اساء بشكهِ عن مصير المرتى الى حساب وثواب وعقاب(ص ٢٥٣—٢٥٤) وكل هذا ممَّا يستدعي اعتبارهُ ويولي الخوف قلوب الابرار فضلاً عن الاشرار ل.ش

فاذا رحبت أصابني سرحي

مفكرات وصفحات مطويّة لشبلي افندي ملّاط (ص ٣٧)

رمى بعض اللبنانيين في المهجر جناب كاتبنا وشاعرنا الوطني شبلي افندي ملّاط بسهام اللام لمجاملتهِ الحكومة التركيّة في ايّام الحرب فاقتضى عليهِ الامر ان يدافع عن تصرُّفهِ بهذه الكرّاسة فبيَّن باصدق الكلام ما صارت اليهِ احوال البلاد في تلك الحقبة وما احاق بهِ خصوصاً من اخطار النفي والمصادرة بل الإعدام فلا يؤخذ عليهِ ان احتاط لنفسه فمدح مكرهاً ارباب الامر واصاب لديهم حظوة . على انهُ توسل بتقرُّبهِ هذا من السلطة المالكة خدمة كثيرين من مواطنيهِ لاسيَّما الفقراء والارامل والاكليريكيين هذه خلاصة تلك المفكرات فعساها تقطع ألسنة العاذلين ل.ش

رسائل الشيخ ابراهيم اليازجي وديوانهُ التاريخي

عُني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب

طبعت في مصر سنة ١٩٢٠ (ص١٧٦)

هذه مئة رسالة ومئتا تاريخ لفقيد اللغة والأدب الشيخ ابرهيم اليازجي احسن بجمعها

ونشرها يوسف افندي توما البستاني لئلا تأخذ يد الضياع تلك الآثار النفيسة فيستفيد منهـا الكتبة وطلبة المدارس على انَّ الرسائل مع رشاقتها وبلاغة معانيها وانسجام عباراتها كلّها مسجّعة كثيرة التأنق فلا تنطبق على سذاجة المكاتبات العصريّة حيث تظهر العواطف الفطرية دون تصنُّع . ولا ريب انَّ للشيخ المرحوم بقايا من هذا الجنس وقفنا على البعض منها فنؤمل ان تُنشر كغيرها . ونأخذ على متولّي طبع الرسائل أنَّهُ اهمـل تاريخها وهذا غلط لان تاريخ المكاتبات يكشف القناع عن عدّة فوائد . امَّا التواريخ الشعريّة فجامعةٌ بين حسن النظم وجودة المعنى رحم الله ناظمها

الاشتراكيّة

تأليف نقولا حدّاد

طبع في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٠

الاشتراكيّة اسم غـامض المعنى اخذ ينتشر في الشرق بعد ان كان محصوراً في البلاد الغربيّة . وقد يستطيب فحواهُ العمّال واصحاب الصنـائع وكلّ من يرتزق بكدّ جبينهِ اذ يرون بهِ نجاتهم من استبداد اولياء الامور وذوي الثروة . ولا شك انَّ في الاتحاد والتضامن بين العمّلة واصحاب الحرف والصنّعة وسيلةً تنقذهم من اضرار السلطة المطلقة التي لا تعتبر الضعيف وتسحقهُ بقوّتها القاهرة . لكنَّ الاشتراكيّة كما هي شائعة اليوم في كثير من البلاد تتجاوز كلّ الحدود وتطمع في امتيازاتٍ لا حقّ لها فيها وازمّتها غالباً في ايدي بعض المشـاغبين والمهيّجين الذين يتجاوزون كلّ حدود الانصاف ويخدمون اغراضهم وامورهم الخاصّة . وهذا الكتاب الذي أُرسل للشرق يحتوي كثيراً من مبادئ الاشتراكيّين الفاسدة فاو اردنا تفنيدهُ باباً باباً لاقتضى ردُّنا الصفحـات المطوّلة . فنعدُّ اذن هذا الكتاب من التآليف المضرّة التي تهيّج الاهواء وتثير المطامع بل يعود ضررها على العملة انفسهم ل . ش

شذرات

﴿ تنصُّر الامراء اللمعيين المتيفين ﴾ كذا تمّنينا في المقالة المدرجة في العدد

السابق ان يفيدنا القرّاء الكرام ما يعرفونهُ من قنصُر الامراء الشهابيين واللمعيين فلبّى دعوتنا حضرة البرديوط المسيو بطرس حبيقة فكتب لنا ما نرويه بحرفه :

انّ اولاد الامير نصر مراد اللمعي من المتين تنصّروا بواسطة الملك الرحمات المطران بطرس كرم البكفتاوي رئيس اساقفة بيروت الذي انفذ اليهم شقيقه الخوري يوسف ابليا كرم رئيس كهنة بكفتا فعلّمهم مبادئ الايمان المقدس وعمّدهم كلهم . وحكاية ذلك هو ان اصغرهم الامير يوسف بعد وفاة والده ذهبت به امّه دلا بنت الامير عثمان من آل فارس اللمعي الى بكفتا واقامت في بيت ابيها وبما انها كانت مارونية عمّد ولدها الطفل المرحوم الخوري يوسف كرم شقيق الملك الرحمات المطران بطرس كرم الآنف الذكر — ثم ذهب الخوري يوسف الى المتين باسم اخيهِ المطران وعمّد الامير سلمان وابنهُ الامير فارس والامير موسى وولديهِ الامير احمد والامير اسعد . وكان كفيل (عرّاب) الامير سلمان واخيه الامير موسى الطيبُ الذكر المطران بطرس كرم . وعمّد الامير احمد وكان كفيله : بشاره صالح البعداتي شماس المطران . وعمّد الامير فارس وكفلهُ الخوري خليل ابو سليمان من المتين . وعمّد الامير اسعد وكفله الشيخ عقل شديد . وعمّد في الوقت عينهِ السيدة هند شقيقة الاميرين سلمان وموسى قرينة الامير منصور برمانا وابنتها السيدة هند قرينة الامير فارس ابن الامير سلمان واختها السيدة زهر والسيدة نسيم قرينة الامير موسى عمّدهم كلهم الخوري يوسف كرم البكفتاوي في ١٣ ك ١ ١٨٣٥ في كنيسة مار جرجس في المتين وكان ذلك اليوم موسم افراح لم تشهد مثله قصبة المتين

تنصّر الامير مراد ابن الامير شديد مراد ابي اللمع وتبع الطقس الماروني وتزوج بابنة الامير طوروه فارس من بكفتا (جد امرأة آل فارس في بكفتا) . وبعد ان ماتت اراد ان يقترن باختها فانوس فلم يأذن له غبطة بطريرك الطائفة المارونية فالتجأ الى غبطة البطريرك اغناطيوس صرّوف فاذن له على شرط ان يكون من ابناء طائفة الروم الكاثوليك فرضي واقترن بها فاولد شديدًا ذكرًا وبنات وبقي الامير شديد من ابناء طائفة الروم الكاثوليك الى ان مات وأخلف الامراء : عبدالله ومراد وداود وابراهيم والاميرتين . نور الهدى وفتنة فالذكور تعمّدوا على حسب طقس الروم الكاثوليك والاميرتان اقتبلتا العماد حسب طقس الكنيسة المارونية . وتزوجت نور الهدى بالامير سعيد ابن الامير خليل قاسم شهاب وتزوجت فتنة بالامير سعيد بشير بلاسع . اما الامراء : عبدالله ومراد وداود وابراهيم فبقوا من طائفة الروم الكاثوليك الى ان ادّعى جسم الطيب الذكر المطران بطرس كرم رئيس اساقفة بيروت فحكم المجمع المقدس بعد الفحص المدقق على يد معتمدين مخصوصين وهما السيدان القاصدان يوحنا لوزانا ويوحنا المعمدان اقريطي بان يبقى الامير عبدالله وحده من طائفة الروم الكاثوليك لانه كان راشدًا وان يكون اخوته الثلاثة القاصرون : مراد وداود وابراهيم من ابناء الطائفة المارونية . واما اولاد الامير عبدالله من ذكور واناث فقد تعمّدوا حسب طقس الروم الكاثوليك ثم اعتنقوا الطقس الماروني ومن بقي منهم من الروم الكاثوليك فعلى ذلك رجاء ان ينال مناصب طائفة الروم الكاثوليك في حكومة لبنان مثل قائمقامية زحلة وغيرها — هذا ما وصلت اليه معرفتنا القاصرة ووجدناه مسطرًا في بعض اوراق قديمة . اه

﴿ انتحار الحيوان ﴾ سُئلت مجلة الهلال أصحيح انّ الحيوان ينتحر كالانسان . فاجابت بصحة الامر وضربت لذلك مثل العقرب المحاطة بالنار التي تلسع نفسها وتموت اذا لم تجد طريقة غيرها للنجاة . (قلنا) هذه احدى تُرّهات الهلال فان الانتحار جنونٌ يجهلهُ الحيوان غير الناطق وهو يفضل من هذا الوجه على الانسان الجاهل . وما قيل عن العقرب لا صحة له كما جرّبهُ العلماء الاثبات

﴿ حفريات عسقلان ﴾ عسقلان من اقدم مدن فلسطين قد تكرر ذكرها في الاسفار المقدّسة . بناها الكنعانيّون وقد استولى عليها الفرعون رعمسيس الثاني ثم اتخذها الفلسطينيّون كاحدى حواضرهم وامّهات مدنهم الساحليّة وهي تبعد عن اورشليم نحو ٧٠ كيلومترًا فحارب اهلها بني اسرائيل غير مرّة . وفي أيام العرب اصبحت عامرةً كثيرة المرافق حتّى دُعيت بعروس الشام . ثمّ اخربها صلاح الدين بعد ان غلب الصليبيين الذين تملّكوها دهرًا وبقيت خرابًا الى زماننا . فالانكليز وجّهوا اليها نظرهم واخذ الاستاذ غرستنغ يستعدّ ليجري فيها حفريّات في الخريف القادم لكشف عاديّاتها . والامل معقود على وجود آثار عديدة فيها

﴿ سقوط الحكومة الشريفيّة ﴾ قد ظهر فعلًا وتحقّقنا عيانًا ما سبق العلّامة ابن خلدون فدوّنهُ في مقدّمته عن سياسة العرب لا سيّما في الفصلين اللذين هذا منطوقهما: الاوّل « في انّ العرب اذا تغلّبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب » والثاني « في انّ العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » . فهذه الحكومة الشريفيّة منذ استولت على داخليّة الشام ومدنها الزاهرة قد قلبتها رأسًا على عقب فلم يرضَ منها النصارى والمسلمون والدروز عمومًا الّا عمّالها لاجل مناقعهم الشخصيّة . فلا عجب انّ سوء تدبيرها وتهييجها لعصابات الاشقياء على النصارى وزرعها بذور الفساد في المنطقة الغربيّة ومطامعها الاشعبيّة قد ساءت حتّى اصحابها فدعا الامر الدولة الفرنسويّة الى تلافي سياستها الحرقاء فسانا نتمتّع بعذوبة السلام بعد رَغم معاطسها وتنكيس اعلامها

﴿ الطاولات الدائرة ﴾ بلغنا انّ احد عمّال مطبعة الاحوال يتعاطى تدوير الطاولات ويدعو اليها اصحابهُ فنكرّر تنبيهنا على انّ الكرسي الرسولي قد حرم ذلك ونهى عنهُ تحت طائلة الخطإ المميت . هذا فضلًا عمّا يلحق من الضرر الادبي والمادّي بمن يلاعبون الارواح الشرّيرة (اللاعب مع القطّ يأكل خرامشه)

أسئلة وأجوبة

س سأل جبرائيل افندي شباط من اميركة عن لسان احد المسلمين كيف يمكن النصارى ان يقولوا بانَّ الله اله واحد وقد ورد في دستور ايمانهم انَّ ابن الله السيد المسيح صعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب فهذا كلُّهُ يدلُّ على اثنين لا واحد مع نسبتهم الى الآب يدين ورجلين ويميناً وشمالاً

التوحيد والتثليث

ج خلط السائل بين وحدانيَّة الله في جوهره الذي لا يقبل عدداً وبين اقانيمه الثلثة القائمة في الجوهر الواحد . ثم فاتهُ انَّ الكلام في دستور الايمان انَّما يدلُّ على ناسوت السيد المسيح وطبيعته البشريَّة لا على لاهوته الواحد مع الآب والروح القدس . اما نسبة اليدين والرجلين والوجه واليمين واليسار الى الآب فكلّ ذلك مجاز تقريباً للاهوت الله الى عقولنا البشريَّة الضعيفة ومثلهُ كثير في القرآن ايضاً . ومن اراد ايضاحاً اوسع فليراجع الكتاب الذي نشرناهُ وجدَّدنا الآن طبعهُ « مقالات دينيَّة لقدماء كتبة النصارى »

س سأل مستفيد ا . ع من افاضل الشعر ماهو اصل غاز البترول ؟

اصل غاز البترول

ج لم يتَّفق العلماء الى يومنا على بيان اصل غاز البترول فمنهم من زعم انَّهُ في قلب الارض بحصول انحلال النباتات والحيوانات التي سبقت آونة التاريخ . ويرى غيرهم انَّهُ نتيجة انعقاد الغازات الصادرة من الفحم المعدنيّ المستقطرة بقوَّة الحرارة الباطنة . وقد ارتأى الكيموي الشهير السير برتلو انهُ ناتج عن الابخرة المائيَّة المتسلطة على المعادن الممزوجة بالكربون لدى وجود حرارة بالغة ل . ش

← اصلاح غلط ← وقع في مقالة تنصُّر الامراء اغلاط يجب اصلاحها (ص ٥٤٤ س ٤) كالمصيبين والصواب كالمانعين ← س ٦ تولى احمد ومنصور سوية ١٧٥٤ ثم منصور وحده ← س ١٢ ثم تغلَّب عليهم لقاب الامارة ← ص ٥٤٧ س ١٤ اوَّل من تنصَّر من الشابيين كان احد ابناء الامير حيدر